مكة المكرمة
والكعبة المشرفة

صلى الله عليه وسلم

تأليف
الأستاذ الدكتور
عبد الهادى أبو السعد صقر

مكــــة المكرمة
والكعبة المشـرفة

تأليف
الاستاذ الدكتور
عبد الهادى أبو السعد صقر


الفصل الأول

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

الحمد لله الذى فرض على المسلمين القادرين حج البيت لمن استطاع اليه سبيلا. ان حج البيت الحرام والتمتع بالكعبة المعظمة بيت الله على ظهر الأرض وضعه الله عز وجل لعباده المؤمنين .

فلم تنل بقعة فى الدنيا كلها على مر العصور من الحب والتقديس مثل الكعبة المشرفة حيث يقوم المسلمون بأداء فريضتهم ويركعون ويسجدون ويتهجدون واليها تحن قلوب المسلمين وتهفوا اليها قلوبهم حاجين أو معتمرين.

ان أفضل البلاد على وجه الأرض بلد الله الحرام مكة المكرمة ومهبط الوحى ويليها فى الفضل والمكانة والقداسة مهاجر رسول الله ﷺ

ان أكثر من مليار مسلم تهفو قلوبهم جميعا الى الكعبة المشرفة والحنين اليها ويولون وجوههم شطرها فى اليوم خمس مرات عند اقامة الصلاة كما تهوى نفوسهم الى البيت العتيق رغبة فى أداء فريضة الحج وتأمل الكعبة المشرفة.

ومن ثم فهذا الموضوع ليس سردا تاريخيا للكعبة المعظمة أو تاريخا لها انما هى رؤية قصصية لبناء الكعبة المشرفة منذ ما قبل سـيدنا آدم الى أن شرف بها آل سعود بمديد الرعاية والاهتمام لأظهـر بقـاع الله قاطبة كما ترى توفير أقصى أساليب الراحة والأمان لحجـاج بيـت الله الحرام وزائرى مسجد نبيه ﷺ والتـاريخ يـسجل لآل سـعود- خـدام الحرمين الشريفين هذه الحقيقة الملموسة وواقع شاهد ولـيس شـعارا للتفاخر والمباهاة ونسأل الله التوفيق والسداد .

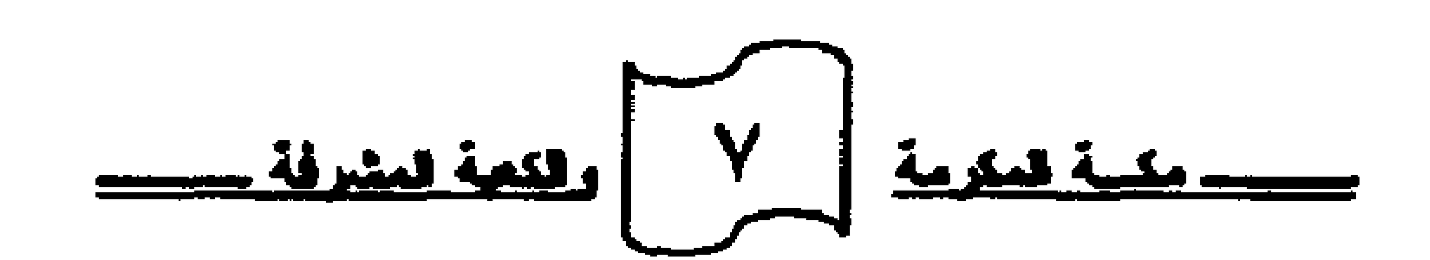
منزلة مكة المكرمة

مكة المكرمة هى خير أرض الله . وأحب أرض الله الى الله وعند خروج رسول الله من مكة الى المدينة أثناء الهجرة قال " والله انك خير أرض الله وأحب أرض الله الى الله والله لولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت " قال ذلك وهو واقف بالحزورة.

- لقد اكتسبت مكة الشرف والقدسية على مدار السنين منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها فمكة المكرمة فيها أول بيت وضع للناس بيت الله الحرام قبلة المسلمين . ومنها انطلقت دعوة رسول الله ﷺ. وفيها المشاعر المقدسة يأتى اليها الحجاج من كل فج عميق ليذكروا اسم الله فى أيام معدودات طلبا لمغفرته ورجاء لرحمته . لقد كانت مكة قفرا مهجورا عرفت بانخفاض أرضها وارتفاع جبالها وندرة مائها ولكن مشيئة الله لهذا الوادى أن يعمر وجاء الأمر الالهى لسيدنا ابراهيم بالذهاب الى هناك بزوجته هاجر وابنه اسماعيل وتركهما بواد غير ذى زرع وكأنه على موعد ببناء الكعبة المشرفة قبلة المسلمين .

وعمد ابراهيم الى موضع الحجر فأنزل فيه هاجر وابنه اسماعيل وأمرها أن تتخذ فيه عرشا وكانت حكمة الله تقتضى أن يمتد العمران الى هذا الوادى لتكون مكة المكرمة وأن يقام فيها بيت الله الحرام .

وفضل الله مكة المكرمة على غيرها من سائر البلدان كما فضل بعض الناس على بعض والأيام والليالى بعضها على بعض وشهد بعظم المنزلة وذكرها باسمها .



مكة المكرمة فى القرآن الكريم

ان أفضل البقاع على وجه الأرض مكة المكرمة خصها الله تعـالى بالفضائل وأقسم بها فى القرآن الكريم وسماها البلد الأمين (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) (سورة التين: ٣)

ومكة المكرمة لها أسماء كثيرة نذكر منها :

١- أم القرى :

قال الحق سبحانه وتعالى " (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (سورة الأنعام: ٩٢)

٢- البيت الحرام :

قال تعالى (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (سورة المائدة: ٩٧)

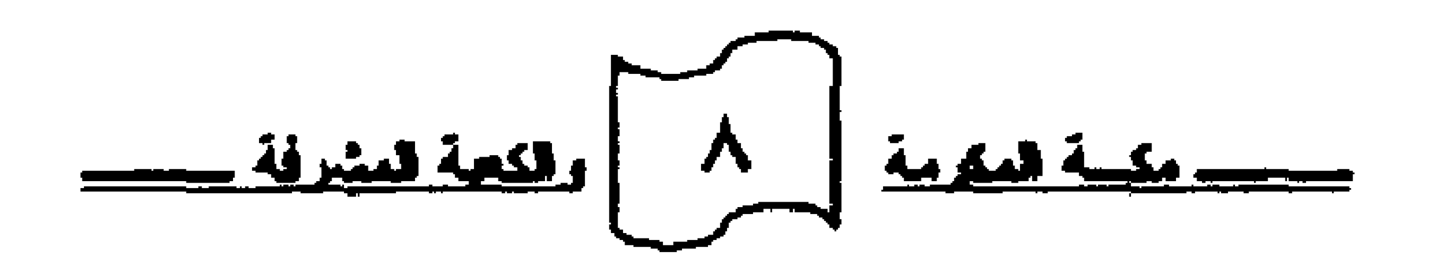
٣- البيت العتيق :

قال تعالى " (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (سورة الحج: ٢٩)

٤- البلـــد :

قال تعالى (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) (سورة البلد: ٢،١)

٥- مكـــة :



قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً) (سورة الفتح: ٢٤)

٦- بكـــة :

قال تعالى (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِّلْعَالَمِينَ) (سورة آل عمران: ٩٦)

وقيل ان بكة بالباء هو موضع البيت وهو الكعبة ومكة بـــالميم موضـــع القرية

٧- قال تعالى على لسان ابراهيم:

(رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (سورة ابراهيم: ٣٧)

٨- معاد :

قال تعالى (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (سورة القصص: ٨٥)

٩- المسجد الحرام:

قال تعالى (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً) (سورة الفتح: ٢٧)

وقد يطلق المسجد الحرام على مكة او الحرم بدليل قوله تعالى :

(ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) (سورة البقرة: من الآية ١٩٦)

وطالما ان لمكة المشرقة هذه المكانة عند الخالق فكان لزاما أن يكون بها بيت الله الحرام وقد تعددت الأقوال :

من بنى هذا البيت العتيق فقيل أن الملائكة بنته عند تمام خلق السموات والأرض .

وكانت الملائكة أول من طاف به وبنى استعدادا لنزول أبينا آدم بعد خروجه من الجنة ثم تهدم هذا البيت الى أن أمر الله ابراهيم عليه السلام وولده اسماعيل ان يرفعا هذا البيت على قواعده

وأن يجعل هذا البيت مكانا للصلاة والحج والعمرة

موقع مكة المكرمة

تقع مكة المكرمة على خط عرض ٢٠ ، ٢٥ ، ٢١

وخط طول ٣٥ ، ٤٩ ، ٣٩

ويقع المسجد الحرام والكعبة المشرفة فـــى بطـــن وادى ابـــراهيم وتشرف عليها الجبال من جميع النواحى دائرة حول الكعبة وترتفع مكة عن مستوى سطح البحر وتعد مدينة جدة الميناء الرئيسى لمدينة مكة .

ومكة لها من الشعاب قديما

شعب دار مال الله- شعب خط الحزامية

شعب الصفا- شعب الحجاج- شعب الجوت

شعب رقاق النار- شعب جبل تفاحة

شعب العطارين- شعب جياد الكبير- شعب جياد الصغير

شعب الحمام- شعب على- شعب الخوز

شعب الجزارين- شعب أذاخر

شعب الحجون- شعب ابن عامر

شعب النفر- شعب الرزازين

لقد قام العلماء باختيار تسع مدن وجزر لتكون حدود العالم القديم- ووجد أن المسافة بين هذه المدن والجزر وبين مكة المشرفة ٨٠٣٩ كم تقريبا فى المتوسط مما يعنى أن مكة المكرمة تقع فى مركز دائرة يمـــر محيطها بثلاث قارات آسيا وافريقيا وأوربا التى كونت العالم القديم قبـــل اكتشاف الأمريكتين .

مكة تتوسط العالم

لقد اختار العلماء تسعة مدن وجزر لتكون حدود العالم القديم وتـــم تحديد موقعها وبعدها عن مكة المكرمة وان المسافة بين هـــذه المـــدن والجزر ومكة المكرمة ٨٠٣٩ كم تقريبا مما يعنى أن مكة المكرمة تقع فى مركز دائرة يمر محيطها بثلاث قارات هى أوربا آسيا وافريقيا التـــى كونت العالم القديم قبل اكتشاف الأمريكتين

وقد تم حساب المسافة بين مدينة ويلنجتون فى نيوزلندا لشرق قارة استراليا وجد أن المسافة بينها وبين مكة المكرمة ١٣٠٤٠ كم
وبين شمال ألاسكا أبعد نقطة فى شمال أمريكا وجد أن المـــسافة بينهـــا وبين مكة المكرمة ١٣٦٠٠ كم وأن المسافة بين كورن هـــورت أبعـــد نقطة فى أمريكا الجنوبية وجد أن المسافة بينها وبـــين مكـــة المكرمـــة ١٣١٢٠ كم وعلى ذلك ان المسافة المتوسطة بين نقاط العـــالم الجديـــد وبين مكة المكرمة هى تقريبا ١٣٢٥٢ كم .

مما يعنى أيضا أن مركز مكة المكرمة تقع فى مركز دائـــرة تمـــر بحدود قارات العالم الجديد .

ويقول د. حسن كمال الدين ابراهيم .

وجد أن مكة المكرمة هى مركز دائرة تمر بأطراف جميع القارات أى أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة المكرمة توزيعا منتظما .

وأن مكة المكرمة فى هذه الحالة مركزا للأرض اليابسة والكعبة المشرفة تقع فى مركز مكة المكرمة .

ومن المحتمل أيضا أنها كانت مركز اليابسة كلها قبل تزحزح القارات وانفصالها بعضها عن بعض فى العصور الجيولوجية السحيقة

ومعنى ذلك أن هذه المدينة المباركة تعتبر مركزا لليابسة مما يؤكد أن اليابسة قد دحيت من تحتها كما ذكر رسول الله ﷺ فى أحاديثه وكما أشار ربنا فى محكم كتابه مخاطبا رسوله .

(وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (سورة الأنعام: ٩٢) .

- وقد حاول المستشرقون

قصر تعبير أم القرى ومن حولها على أهل مكة وبعض قرى الحجاز

وقال الحق سبحانه وتعالى مخاطبا أنبيائه :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سورة سبأ: ٢٨)

وقوله تعالى أيضا :

(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (سورة الفرقان: ١)

وهنا يظهر للكل عالمية الدعوة الاسلامية وان اختيار موقع مكة المكرمة لتكون فيها الكعبة المشرفة قبله المسلمين فى جميع أنحاء العالم وهو لختيار الهى فيه حكمة كبرى .

مكة المكرمة وحرمها

عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

البيت المعمور الذى فى السماء يقال له الضُراح وهو بيت فى السماء حيال الكعبة وهو البيت المعمور وقيل هو الكعبة رفعها الله وقت الطوفان الى السماء الدنيا فسميت بذلك لضرحها عن الأرض أى بعدها .

- وهذا الضراح هو على بيت الله الحرام لو سقط سقط عليه يعمره كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط وان فى السماء السابعة حرما على قدر حرمه

- وحرم مكة المكرمة هو ما أحاط وطاف بها من جوانبها وجعل الله حكمه حكمها فى الحرمة تشريفا والأمر فيه لله وحده
- وحدود الحرم معلومة ومعروفة بمداخل مكة الستة من طريق المدينة واليمن وجدة والطائف والعراق والجعرانة

واختلف فى سبب تحريمه فقيل أن آدم لما هبط على الأرض خاف على نفسه من الشيطان . فاستعاذ به منه فأرسل الله ملائكة حفوا بمكة من كل جانب ووقفوا بموضع أنصاب الحرم يحرسون آدم فصار ما بينه وبين موقف الملائكة حرما وقيل أن الخليل ابراهيم عليه السلام لما وضع الحجر الأسود فى الكعبة حين بناها . أضاء الحجر الأسود وقيل أن الله حين قال للسموات والأرض (ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)

(سورة فصلت: من الآية ١١)

لم يجبه بهذه المقالة من الأرض الا أرض الحرم ولذلك حرمها .

وقيل أن آدم اشتد بكاؤه وحزنه لما كان من عظم المصيبة فعـزاه الله بخيمة من خيام الجنة وحرس له تلك الخيمة بالملائكة فكان موقفهم عند أنصاب الحرم صفا واحدا . مستدرين بالحرم كله . والحرم كله مـن دونهم لا يجاوزه جن ولا شيطان . وجاء فى النجاة من الذنب بالالتجـاء الى الحرم

عن النبى ﷺقال: لما عقرت ثمود الناقة وأخذتهم الصيحة فلم يبـق تحت السماء منهم أحدا الا أهلكته الا رجلا واحدا كان فى حرم الله عـز وجل فمنعه الحرم فقالوا من هو يا رسول الله فقال الرسول ﷺ ابورغال أبو ثقيف . فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه

- وأختلف أهل العلم فى كون الصلاة فى مكة كلها بمائة الف صلاة أو أن ذلك يختص بالمسجد الحرام وقال رسول الله ﷺ
- الصلاة فى المسجد الحرام بـ ١٠٠ ألف صلاة والصلاة فى مسجدى بـ ١٠٠٠ صلاة والصلاة فى بيت المقدس بـ ٥٠٠ صلاة
- ومنهم من ذهب الى التضعيف يكون فى الحرم كله أى مكـة كلهـا واستدل بقوله تعالى :

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (سورة الإسراء: ١)

رغم أن الاسراء كان من بيت أم هانى ولم يكن من المسجد ذاته فدل ذلك على عموم الحكم

- فالمقصود بالحرم هو مكة المكرمة بحدودها المعروفة الان وليس المسجد الحرام فقط
- وقيل لما قال سيدنا ابراهيم ربنا أرنا مناسكنا أنزل جبريل اليه وذهب به فأراه المناسك ووقفه على حدود الحرم
- وقيل أن قريشا تعدت على أنصاب الحرم فنزعتها فأشتد ذلك على النبى فجاء جبريل الى رسول الله وقال له يا محمد أشتد عليك أن نزعت قريش أنصاب الحرم ؟ قال نعم . قال انهم سيعيدونها ثم أعادوها بعد ذلك . فجاء جبريل الى رسول الله ﷺ وقال يا محمد قد أعادوها فقال الرسول قد أصابوا يا جبريل ما وضع منها نصبا الا بيد ملك

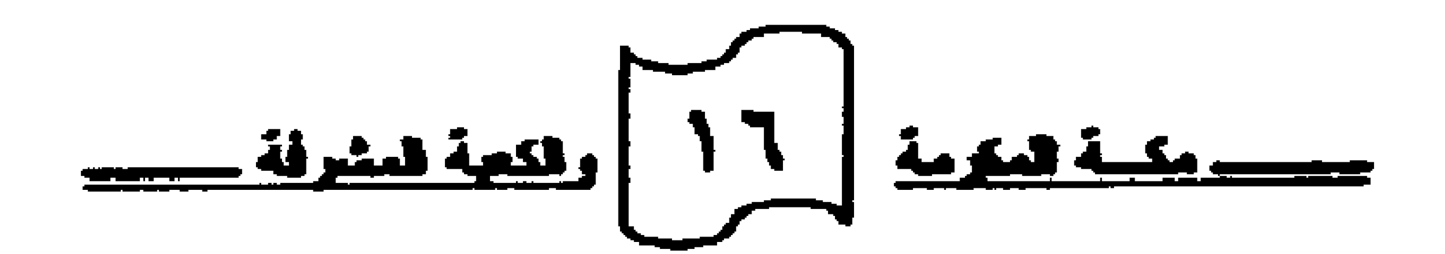
عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

الحرم كله مقام ابراهيم . ان جبريل عليه السلام يرى ابراهيم أنصاب الحرم . ثم جددها اسماعيل ثم قصى ثم جددها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عام الفتح

وفى عهد عمر بن الخطاب بعث أربعة من قريش فجددوا أنصاب الحرم

وكذلك فى عهد عثمان بن عفان لما ولى الخلافة فأرسل عبد الرحمن بن عوف وأمره أن يجدد أنصاب الحرم ولما ولى معاوية الخلافة كتب الى والى مكة فأمره بتجديد أنصاب الحرم

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال أن الحرم يحرم الى السماء السابعة ثم جدد أنصاب الحرم



فى العهد العباسى وكذلك فى العصر العثمانى

- ولا يفوتنا ما تم من تجديدات فى العهد السعودى وأصبحت الاعلام على الحدود وعلى جميع المداخل على شكل مجسمات وهكذا يتم تجديدها وترميمها باستمرار وهى واضحة وبارزة عند مداخل مكة والداخل الى الحرم من أى مدخل من مداخل مكة المكرمة سوف يشاهد عبارة " بداية حد الحرم "

والخارج من الحرم من أى مدخل من مداخل مكة سوف يشاهد عليها " نهاية الحرم " وحدود الحرم الشريف كما ذكرها الأزرقى

- من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت غفار على ثلاثة أميال
- ومن طريق اليمن طرف أضاءة لبن فى ثنية لبن على سبعة أميال .
- وعن طريق جدة منقطع الأعشاشى على بعد عشرة أميال
- ومن طريق الطائف عن طريق عرفة من بطش نمرة على أحد عشر ميلا .
- ومن طريق العراق عن طريق ثنية خل بالمقطع على سبعة أميال
- وعن طريق الجعرانة فى شعب آل عبد الله على بعد تسعة أميال

جبل عرفات	التنعيم	نخلة	جعرانة	الحديبية	أضاءة لبن
٢٢كم	٥,٧ كم	١٣ كم	٢٢ كم	٢٢ كم	١٦ كم



الفصل الثانى

الكعبة المشرفة هى أول بيت على سطح الأرض

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) (سورة آل عمران: ٩٦)

النص القرآنى واضح للدلالة على أن الكعبة المشرفة هى اول بيت وضع للناس ويدعم ذلك وصف القرآن الكريم للكعبة المشرفة بوصف البيت العتيق

(ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (سورة الحج: ٢٩)

وأن التعبير القرآنى " وضع للناس " أى بناه ابتداء مما يدعم القول أن الملائكة هم الذين بنوا الكعبة المشرفة ثم تهدم هذا البيت العتيق وبنته أجيال من الناس عدة مرات .

ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام بحرام الله الى يوم القيامة .

- وهناك دراسات تؤكد أن اليابسة كلها من تحت الكعبة المشرفة ونتيجة للنشاط البركانى برزت أول قمة فيها فوق سطح الماء فكانت أرض مكة المكرمة فأمر الحق ملائكته ببناء الكعبة المشرفة عنى هذه البقعة الأولى من اليابسة .
- قال رسول الله ﷺ.

كانت الكعبة خاشعة على الماء فدحيت منها الأرض وقد ذكر ابن عباس : أن مكة المكرمة سميت باسم " أم القرى " لأن الأرض دحيت من تحتها لكونها أقدم الأرض

- عن سعيد بن المسيب قال : قال كعب الأحبار

كانت الكعبة غثاء على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض بأربعين سنة ومنها دحيت الأرض

- وذكر الأزرقى . لقد خلق الله عز وجل موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفى سنة وأن قواعده لفى الأرض السابعة السفلى
- وقيل أن الله تعالى خلق جوهرة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء فخلق الأرض من زبده والسماء من بخاره فأول ما ظهر على وجه الأرض مكة .
- وذكر أيضا عن ابن عباس : لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض بعث الله تعالى :

ريحا هفافه فصفقت الماء فأبرزت عن حشفة فى موضع هذا البيت كأنها فيه فدحا الأرض من تحتها فمادت ثم مادت فأوتدها الله تعالى بالجبال فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس ولذلك فسميت مكة " أم القرى "

بناء الملائكة للكعبة

بما أن لمكة المكرمة مكانة ممتازة عند الخالق فكان لزاما أن يكون بها بيت الله الحرام قبلة المؤمنين وتعددت الأقوال فى تحديد من بنى هذا البيت العتيق فذكر أن الملائكة بنته عند تمام خلق السموات والأرض وكانوا أول من طاف به وبنى استعدادا لنزول أبينا آدم

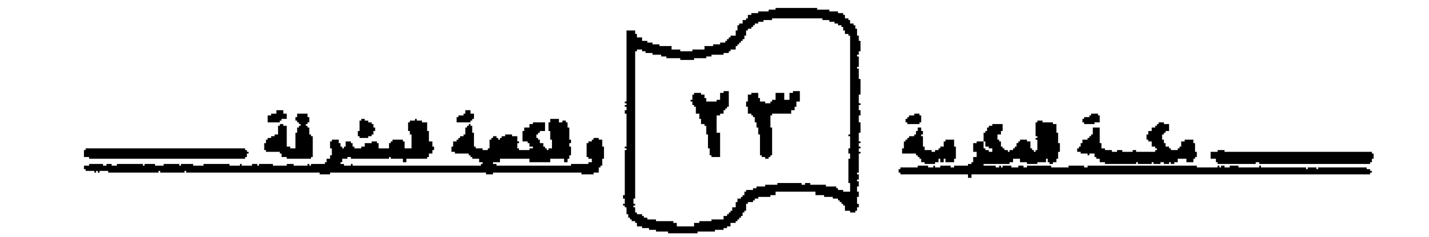
- ان الحق تبارك وتعالى عندما أخبر الملائكة بأنى جاعل فى الأرض خليفة فقالت الملائكة (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) (سورة البقرة: من الآية ٣٠)

فغضب عليهم رب العزة فأصبحوا يطوفون حول العرش حتى رحمهم الله ورضى عنهم .

- وأمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت فى الأرض على قياسه وعلى مقداره وأن يطوفوا بهذا البيت بدلا من العرش فكان أول بناء للكعبة هو بناء الملائكة

اجعلوا لى فى الأرض بيتا يطوف به من عبادى من غضبت عليه فأرضى عنهم كما رضيت عنكم وقيل أيضا أن الله بعث ملائكة فقال لهم : ابنوا لى بيتا فى الأرض بمثاله وقدره فأمر الله سبحانه وتعالى من فى الأرض من خلقه بأن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم بألفى عام

- وذكر الأزرقى



كان البيت الذى بوأه الله تعالى لآدم يومئذ ياقوتة من يواقيت الجنــة حمراء تلتهب . لها بابان أحدهما شرقى والآخر غربـى . وكــان فيــه قناديل من نور آنيتها ذهب من تبر الجنة . وهو منظوم بنجوم من ياقوت أبيض والركن يومئذ نجم من نجومه وهو يومئذ ياقوتة بيضاء .

بناء آدم للكعبة

أما البناء الثانى هو بناء سيدنا آدم ويقال أن الملائكة قد ساعدته فى البناء وان سيدنا آدم هبط من الجنة ومعه ياقوتة حمراء لها أربعة أركان مجوفة وضعها على أساس .

وقال ابن عباس

لما اهبط الله آدم الى الأرض من الجنة فكان رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض وهو مثل الفلك فى رعدته وقيل فطأطأ الله منه الى ستين ذراعا قال يا رب مالى لا أسمع أصوات الملائكة ولا أحسهم ؟ قال : خطيئتك يا آدم . ولكن اذهب فابن لى بيتا فطف به واذكرنى حوله كنحو مارأيت يصنع حول عرشى

فأقبل آدم يتخطى فطويت له الأرض وقفصت له فصارت كل مفازة يمر لها خطوة ولم تضع قدمه فى شئ من الأرض الا صار عمرانا وبركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام . وأن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فأبرز عن أس ثابت على الأرض السفلى فقذفت فيه الملائكة من الصخر ما يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلا وأنه بناه من قمة جبال من لبنان وطور زيتا وطور سيناء والجودى وحراء حتى استوى على وجه الأرض

أما البناء الثالث

فهو بناء أولاد سيدنا آدم وعندما توفى آدم رفعت هـذه الياقوتـة وبنى أولاده مكانها بيتا من الطين والحجر وبقيت الأجيال تعمـره حتـى زمن سيدنا نوح حتى نسفه الطوفان .

وقال ابن عباس :

فكان اول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم حتى بعـث الله الطوفان .

واستمر الخلق على عبادة الله وتوحيده طيلة عشرة قـرون وهـى الفترة التى بين سيدنا آدم ونبى الله نوح وقال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وحدثت أمور اقتضت أن آل الحال بأهل ذلك الزمان الى عبادة الأوثان وجاءت فترة ارتد فيها الانسان عـن الايمان

وقال ابن عباس :

فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم حتـى بعـث الله الطوفان وبعد أن اختفى البيت زمن الغرق فى عهد سيدنا نـوح عليـه السلام وظلت على هذا الحال حتى أوحى الله لابراهيم

بقوله تعالى (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (سورة الحج: ٢٦ ، ٢٧)

وقال تعالى



(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (سورة آل عمران:٩٦ ، ٩٧)

وجاء فترة ارتد فيها الانسان عن الايمان وعبادة الرحمن وغلبت عليه عبادة الأوثان وقيل أن سبب ذلك ما رواه البخارى من حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى

(وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) (سورة نوح: ٢٣)

هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك عبدت

قال ابن عباس : وصارت هذه الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد وقيل ان ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا " أولاد آدم وكان ودا أكبرهم وأبرهم "

- وبعد الطوفان بعث الله ابراهيم واسماعيل فرفعا قواعد البيت وذكر القرآن الكريم بناء سيدنا ابراهيم للكعبة ومعاونة سيدنا اسماعيل معه فى بنائها وعمر حول الكعبة بعد أن دعا ابراهيم ربه لهذه البلدة بالبركة والعمران

(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (سورة إبراهيم: ٣٧) وقال وهما يحفران عن القواعد ويقولان :

(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (سورة البقرة: من الآية ١٢٧)

وقيل ان الخليل ابراهيم عليه السلام لما وضع الحجر الأسود في الكعبة حين بناها أضاء الحجر يمينا وشمالا وشرقا وغربا فحرم الله الحرم من حيث انتهى نور الحجر الأسود وقيل أن الله حين قال للسموات والأرض (ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (سورة فصلت: من الآية ١١) لم يجبه بهذه المقالة من الأرض الا أرض الحرم وكذلك حرمها

بناء سيدنا ابراهيم للكعبة

لقد كان موضع الكعبة قد خفي واندثر فى زمن الغرق زمن سيدنا نوح عليه السلام وان الفترة الزمنية بين نبى الله نوح وخليل الله ابراهيم قيل أن البيت كان موضعه اكمة حمراء مدرة لا تعلوها السيول . ولكن أغلب الذين يعلمون أن موضع البيت فيما هنالك لا يثبت موضعه ولكن يأتى الى البيت المظلوم والمتعوذ من أقطار الأرض ويدعو عنده المكروب وكان الناس يحجون الى موضع البيت .

- وذكر أنه كان مع نوح عليه السلام فى السفينة ٨٠ ثمانون رجلا ومعهم أهلوهم . وأقاموا فى السفينة ١٥٠ يوما وأن الله تعالى وجه السفينة الى مكة فدارت بالبيت ٤٠ يوما ثم وجهها الله تعالى الى الجودى فأستقرت عليه
- فلما بعث الله تعالى خليله بوأ الحق له مكانة . وظلل الله مكان البيت بغمامة . فكانت حفاف البيت الأول . ثم لم تزل راكدة على حفافة تظل ابراهيم وتهديه مكان القواعد حتى رفع الله القواعد ثم انكشفت الغمامة فذلك قول الله تعالى :
- ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ (سورة الحج: من الآية ٢٦)
- أى الغمامة التى ركدت على الحفاف تهديه مكان القواعد فلم يزل بحمد الله منذ رفعه الله معمرا

بشرى لهاجر قبل بناء البيت

ان هاجر أم اسماعيل حين أنزلها ابراهيم عليه السلام بمكـــة ذكـــر الأزرقى عن محمد بن اسحاق أن ملكا أتى هاجر وقيل أن يرفع ابـــراهيم واسماعيل القواعد من البيت أشار لها الى البيت وهو ربوة حمراء مدره فقال لها هذا أول بيت وضع للناس فى الأرض وهو بيت الله العتيق .

- وقال ابن جريح بلغنى أن جبريل عليه الـــسلام قـــال لأم اســـماعيل وأشار اليها بموضع البيت . هذا أول بيت وضع للناس وهو بيت الله العتيق . وأعلمى أن ابراهيم واسماعيل يرفعانه للنـــاس ويعمرانـــه ويزال معمورا بحرما مكرما الى يوم القيامة وماتت أم اسماعيل قبل أن يبنى البيت ودفنت فى موضع الحجر
- عن ابن عباس : أن الملك الذى أخرج زمزم لهاجر قال لها أبو هذا الغلام يبنى بيتا هذا مكانه وأشار الى موضع البيت ثم انطلق وجاءت اللحظة التى يشرف بها من قبل أم العرب عليها السلام ببناء البيـــت العتيق بين زوجها وابنها
- جاء سيدنا ابراهيم الخليل فوجد ابنه اسماعيل قاعدا الدوحـــة التـــى بناحية البئر يبرى نباله فسلم عليه ونزل اليه وقعد معه وقال ابراهيم لابنه اسماعيل يا اسماعيل ان الله تعالى أمرنى بامر ورد ابنه عليـــه اطع ربك فيما أمرك يا أبت يا اسماعيل أمرنى ربى ان أبنى له بيتا . وأين ؟

يقول ابن عباس فأشار له الى اكمة مرتفعة على ما حولها عليها رمزا من حصياء يأتيها السيل من نواحيها ولا يركبها . وعلى الفور بدأ عليهما السلام يحفران ويزيلان الأطلال ويطهران مكان البيت من الصخور والأحجار . وعندما تم لهما ذلك ظهرت القواعد الأساسية وأخذا فى البناء . يذكر الحق تبارك وتعالى أن ابراهيم هو أول من بنى البيت العتيق- الكعبة المشرفة . هذا هو أول مسجد وضع للناس يعبدون الله فيه (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) (سورة الحج: من الآية ٢٦)

- ان الذين فهموا من قوله تعالى :

واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت بمعنى أن ابراهيم هو الذى بنى البيت نقول لهم أن البيت كان موجودا قبل ابراهيم وأن مهمة ابراهيم اقتصرت على رفع القواعد لاظهار مكان البيت للناس .

- ان ابراهيم حين أخذ هاجر وابنها اسماعيل وتركهما فى بيت الله الحرام لم يكن قد بنيت الكعبة فى ذلك الوقت

ذكر البيت

وأقر قول الحق تبارك وتعالى فى دعاء ابراهيم وهو يترك هاجر وطفلها الرضيع ." (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)

(سورة إبراهيم: ٣٧)

معنى هذا أن البيت كان موجودا واسماعيل طفل رضيع ولكن القواعد قد أقيمت بعد أن أصبح اسماعيل شابا يستطيع أن يعاون أباه فى بناء

الكعبة اذا كان البيت الحرام قبل أن يبنى ابراهيم الكعبة ولكن مكان البيت لم يكن ظاهرا للناس اقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا) (سورة الحج: من الآية ٢٦)

وعندما نتعرض لقضية بناء البيت : لابد أن نستعرض جميع الآيات التى وردت فى القرآن الكريم حول هذه القضية وفيها قوله تعالى :

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) (سورة آل عمران: ٩٦)

والكلام هنا عن البيت والقول أنه وضع للناس فالناس لم يضعوه ولكن الله هو الذى وضعه وحدده . وعدل الله يأبى الا أن يوحد قبل أن يوجد آدم ولذلك فان الملائكة وضعوه بأمر الله وحيث أراد الله لبيته أن يوضع . والله مع نزول آدم الى الأرض شرع التوبة . وأعد هذا البيت ليتوب الناس فيه الى ربهم وليقيموا الصلاة ويتعبدون فيه .

قال الله تعالى لابراهيم

قم فابن لى بيتا . قال يا رب . وأين ؟ قال سنريك فبعث الله تعالى سحابة فيها رأس يكلم ابراهيم . فقال يا ابراهيم ان ربك يأمرك أن تخط قدر هذه السحابة فجعل ينظر اليها ويأخذ قدرها فقال له الرأس أقد فعلت ؟ فقال نعم وارتفعت السحابة فأبرز عن أسس ثابت من الأرض فبناه ابراهيم .

لما بعث الله ابراهيم خليله ليبنى له البيت طلب الأساس الأول الذى وضع بنو آدم فى موضع الخيمة التى عزى الله بها من خيام الجنة حين وضعت له بمكة فى موضع البيت الحرام فلم يزل ابراهيم يحفر حتى



وصل الى القواعد التى أسس بنو آدم فى زمانهم فى موضع الخيمة فلما وصل اليها أظل الله مكان البيت بغمامة فكانت حفاف البيت الأول ثم لـم تزل ,اكدة على حفافه تظل ابراهيم وتهديه مكان القواعد عامـة – ثـم انقشعت الغمامة فذلك قوله تعالى :

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) (سورة الحج: من الآية ٢٦)

فلم يزل والحمد لله منذ رفعه الله معمورا وظل اسماعيل يناول أبـاه الحجارة يأتى بها للبناء من قمة جبال من طور سيناء وطـور زيتـا ، ولبنان والجودى ، وحراء وذكرا أن قواعده من حراء

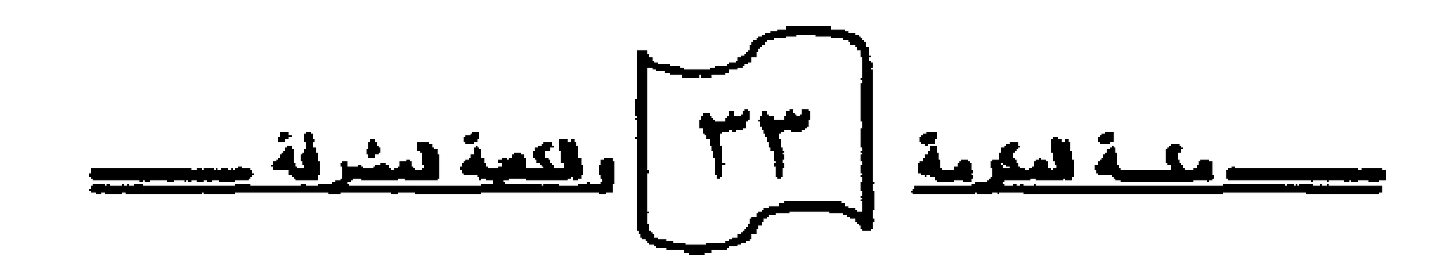
– وعند الحفر يقولان ابراهيم وابنه اسماعيل

(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (سورة البقرة: من الآية ١٢٧) وكـان اسماعيل يحمل الحجارة على رقبته ويبنى الخليل ابراهيم فلمـا ارتفع البناء شق على الشيخ ابراهيم تناوله قرب اسماعيل هـذا الحجر " يعنى المقام "

فكان يقوم عليه ويبنى ويحوله فى نواحى البيت حتى انتهى الى وجه البيت .

ويقول ابن عباس لذلك سمى مقام ابراهيم لقيامه عليه

– وانتهى الخليل الى موضع الركن الأسود ورغب أن يضع علامة يبـدأ فيها الطواف فقال يا اسماعيل أريد حجرا أضعه ها هنـا ليكـون علمـا للناس يبدؤون منه الطواف وذهب اسماعيل يطلب لـه حجـرا مميـزا يصلح لهذه المهمة او الغاية ولما تأخر اسماعيل جـاء جبريـل عليـه



السلام بالحجر الأسود للخليل وقد استودع الركن الأسود- الحجر الأسود- جبل أبى قبيس حين اغرق الله الارض زمن نوح عليه السلام وقال :

اذا رأيت خليلى يبنى بيتى فأخرجه له .

- ولما رجع اسماعيل قال لأبيه يا أبت من أتى لك بهذا ؟

جاءنى به جبريل عليه السلام

- فلما وضع جبريل الحجر فى مكانه وبنى عليه ابراهيم وهو حينئذ يتلألأ من شدة بياضه فأضاء نوره شرقا وغربا ويمينا وشمالا . وقيل كان نوره يضئ الى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية من نواحى الحرم . وانما شدة سواده لأنه أصابه الحريق مرة بعد مرة فى الجاهلية والاسلام وروى أن الحجر الأسود من الجنة وكان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك أو خطايا بنى آدم

- ولما فرع ابراهيم من بناء بيت الله الحرام قال أى رب قد فعلت . فأرنا مناسكنا . أى ابرزها لنا وعلمنا اياها فجاءه جبريل وقال طف بالبيت سبعا فطاف هو واسماعيل عليهما السلام وكانا يستلمان الأركان كلها فى كل طواف .

- وكان آدم يستلم الأركان قبل ابراهيم عليه السلام فلما أكملا سبعا صليا خلف المقام ركعتين " مقام ابراهيم " وأقام معه جبريل وأراه المناسك كلها . الصفا ، والمروة ، منى ، والمزدلفة ، وعرفة

- فلما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له ابليس وقيل بعث الله عز وجل جبريل فحج به حتى اذا جاء يوم النحر عرض له ابلـــيس عند جمرة العقبة فقال له جبريل عليه السلام
- أرمه فرماه ابراهيم بسبع حصايات فتاب عنه
- ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل عليه السلام ارمه فرماه بسبع حصايات غاب عنه
- ثم برز عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل كبر وارمه فرمـــاه بسبع حصيات ثم غاب عنه ابليس
- ثم مضى ابراهيم فى حجه وجبريل يوقفه عند المواقف ويعلمـــه المناسك حتى انتهى الى عرفات فلما انتهى اليها قال له جبريـــل أعرفت مناسكك فقال ابراهيم نعم فسميت عرفات بذلك ويـــروى أنه كان بين ذلك وبين بعثة محمد ﷺ ثلاثة الاف سنة .

نداء ودعوة ابراهيم عليه السلام

(وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)

(سورة الحج: ٢٧)

فقام الخليل من مقامة ونادى فى الناس قائلا أيها الناس:

ان ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه ولما فرغ ابراهيم من بناء البيت أى رب قد فرغت فأوحى الله اليه أن أذن فى الناس بالحج فقال يارب وما يبلغ صوتى ؟ فقال له الله تعالى أذن وعلى البلاغ وكيف أقول ؟

قال:- قل يا أيها الناس أجيبوا ربكم ثلاث مرات .

فعلا ابراهيم على الحجر فأرتفع به الحجر حتى صار أرفع الجبال واطولها وهذا هو المقام الآية أبد الدهر " مقام ابراهيم " يا أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فأجيبوا ربكم ان الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا فأجابوه " لبيك اللهم لبيك "

- وفى رواية أخرى : أى كل رطب ويابس وسمعه من الشرق والغرب وأجابه من كان فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فلن يحج أحد الى يوم القيامة الا من أجاب نداء ابراهيم وانما حجهم على قدر اجابتهم يومئذ . فمن أجابه مرة حج مرة ومن أجابه مرتين حج مرتين ومن أجابه أكثر فأكثر على حسب اجابته
- أى أن ابراهيم أسمع من فى أصلاب الرجال وارحام النساء فاجاب من آمن ومن كان قد سبق فى علم الله تعالى أنه يحج الى يوم القيامة . والحج الذى أذن به ابراهيم عليه السلام هو

خامس أركان الدين ودعامة من دعائم الاسلام ثم حج ابـــراهيم واسماعيل ومن معه من المسلمين من جرهم وهم مكان الحـــرم يومئذ مع اسماعيل وهم أصهاره

- وصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء بمنى ثم بات فيها ولما أصبح الصبح صلى بهم الغداة ثم غدا بهم الى نمرة فقـــال هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الظهر والعصر بعرفه
- ولما غربت الشمس دفع جبريل ابراهيم ومن معه وبمـــن معـــه حتى اتى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات حتى اذا طلع الفجر صلى بهم
- ثم دفع جبريل عليه السلام به وبمن معه يريه ويعلمـــه . كيـــف يرمى الجمار ؟ حتى فرغ من الحج كله ثـــم انـــصرف ابـــراهيم راجعا الى الشام فتوفى بها .
- واستمر بناء الكعبة المشرفة " بيـــت الله الحـــرام" فـــى هيئتـــه وعظمته حتى قامت كل من قبيلتى العمالقة بتجديد عمارته عن تصدع الكعبة نتيجة لكثرة السيول والعوامل المؤثرة فى البنـــاء أى أنه كان ترميما للكعبة وليس بناء لها .

وفى عهد قبيلة خذاعة التى حكمت مكة وما حولها حوالى ٣٠٠ سنة وقيل ٥٠٠ سنة ظلت خلالها ولاية البيت وشئون مكة المكرمة فـــى يد زعماء هذه القبيلة ويبدو أنه لم تقم بعمارة أو ترميم البيت الحرام طيلة عهد حكمها الطويل لمكة وأستمر الحال كذلك حتى عهد قريش



" لبيك اللهم لبيك – لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمـــة لـــك والملك لا شريك لك "

- هكذا استقرت مكانة مكة ام القرى البلد الحـــرام ببنـــاء الكعبـــة المعظمة وأصبحت العاصمة الدينية للمؤمنين بالله جميعا .


الفصل الثالث

مقام ابراهيم عليه السلام

بعد انتهاء ابراهيم الخليل من بناء الكعبة فلابد لنا أن نتعرض لمقام ابراهيم . ومقام ابراهيم آية من آيات الله وهو حجر رخو من نوع حجر الماء لونه بين البياض والسواد والصفرة وهو مربع الشكل وهو الحجر الأثرى الذى قام عليه ابراهيم عند بناء الكعبة المشرفة لما ارتفع البناء

عن ابن عباس قال :

المقام جوهرة من الجنة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أشهد بالله بأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله تعالى نورهما ولولا ذلك لأضاء نورهما ما بين الشرق والغرب

وعن أنس بن مالك . قال عمر بن الخطاب . يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى . فأنزل الله تعالى قوله (وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) (سورة البقرة: من الآية ١٢٥) ومقام ابراهيم فيه علامات من قدرة الله وآثار قدم خليلة ابراهيم فى الحجر الذى قام عليه ففيه آيات بينات ، ويشرع بعد الطواف صلاة ركعتين خلف المقام حجا او عمرة .

- وذكر ان أبا جهم بن حذيفة القرشى يقول ما رأيت شبها كشبهة قدم النبى صلى الله عليه وسلم بقدم ابراهيم والتى كنا نجدها فى المقام

- وقال قوم من بنى مدلج وهم من أشهر العرب معرفة بالآثار الــى عبد المطلب جد النبى حينما كفله بعد وفاة أمه احتفظ بمحمد فإنا لم نر قدما أشبه بالقدم التى فى مقام ابراهيم منه

- وقد قيل أن جبريل عليه السلام جاء بالمقام حتى وضعه تحت رجل ابراهيم ان الله عز وجل أراد أن أن يجعل المقام آية من آياته فلما أمر ابراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج قام على المقام فأرتفع المقام حتى كان أطول الجبال وأشرف على ما تحته وقال أيها الناس أجيبوا ربكم فأجابه الناس

" لبيك اللهم لبيك " ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يصلى الى المقام وهو ملتصق بالكعبة حتى توفى رسول الله

وعن ابن عباس قال:

ليس فى الأرض شئ من الجنة الا الركن والمقام وانهما جوهرتــان من جوهرة الجنة وما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله

- وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ

لما فرغ ابراهيم من بناء البيت أمره الله عز وجل أن ينــادى فــى الناس بالحج فقام ابراهيم على مقامة وقال "أيها الناس ان ربكم قد بنــى لكم بيتا فحجوه وأجيبوا الله فاجابوه فى اصلاب الرجال وأرحام النــساء أجبناك أجبناك " لبيك اللهم لبيك " وقال : كل من حج اليوم فهــو ممــن أجاب ابراهيم على قدر ما لبى وعن أنس قال : رأيت المقام فيه أصــابع ابراهيم وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم

- ولما فرغ الخليل من بناء البيت وضع المقام الى جـوار الكعبـة وتركه هناك وأمر بالصلاة بعد الطواف ويكون ذلك عند مقام ابراهيم وقد أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول اقتدوا باللذين من بعدى ابـى بكـر وعمر . وعمر هو الذى أنزل القرآن فيه يوافقه فى بعض الرأى فى الصلاة عند المقام " (وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) (سورة البقرة: من الآية ١٢٥)

- ان تأخير المقام عن جدار الكعبة كرأى عمر بن الخطاب لئلا يشغل المقام المصلين عنده الطائفين بالبيت ان المقام قد احتمل من مكانـه أثناء سيل أم نهشل وسمى بأسمها لأنها قد ماتت فيه .

وكتب بذلك الى عمر بن الخطاب فأقبل عمر فزعا وكان يؤدى عمرة فى شهر رمضان وتذعم موضعه وعناه السيل فدعا عمر بن الخطاب وقـال لهم . أنشد الله عبدا عنده علم فى هذا المقام فأجاب المطلب بـن أبـى وداعه فقال انه عندى بالبيت فأرسل عمر بن الخطـاب فـى احـضاره وتشاور مع الناس وكان بصحبته جمع من الصحابة وقـام عمـر بـن الخطاب ببناء ربضة تحت المقام ثم حوله الى مكانه الموجود الى هـذا اليوم وعمل الردم عند ذلك .

وصدق رسول الله ﷺ يوم انه قال فيك . لم أر عبقريا يفرى فريـة وكان عبد الله بن السائب أول من صلى خلف المقام حين رد فى موضعه ثم دخل عمر بن الخطاب وصلى خلفه وفى خلال الفترة من ٩٠٠ هـ حتى ١٠٤٩ هـ جرت تجديدات وترميمات لقبة المقام ان التوسعة التى

اضيفت للمطاف نحو ١٥,٦٦ م٢ مما سهل حركة الطائفين ويسر الرؤية الجيدة للطائفين بوضوح داخل القفص البللورى وقيل أن رجلا كان بمكة يقال له جريج يهودى أو نصرانى وقــصد المقــام ذات ليلــة وســرقة وبالبحث عنه وجد عنده . وكان يريد أن يخرجه الى ملك الروم فأخذ منه وضربت عنقه وكان أبو طاهر القرمطى يريد أخذه " مقام ابراهيم " فلــم يظفر به . لأن سدنة المسجد غيبوه فى بعض شعاب مكة ولا يزال هذا المقام محروسا بحراسة الله تعالى .

الحجر الأسود

فى أثناء تأدية فريضة الحج أو العمرة لابد ان تبدأ الطواف من عند الحجر الأسود ويقال له الركن باعتبار وجوده فى الركن الأهم من البيت الحرام حيث يبدأ الطواف منه فالركن والركن الأسود كلها بمعنى واحد وقد وضعه فى هذا الوضع نبى الله ابراهيم ليكون علامة بداية الطواف حول الكعبة . فبعد أن وضع الخليل عليه السلام وبإرشاد سيدنا جبريل عليه السلام الحجر الأسود فى مكانه وبنى عليه ابراهيم وهو حينئذ يتلألأ من شدة بياضه فأضاء الجهات الاربعة لمكة المكرمة . وقيل فكان نوره يضئ أنصاب الحرم من كل ناحية من نواحى الحرم وانما شدة سواده لأنه أصابه الحريق مرة بعد مرة فى الجاهلية والاسلام ويرى المسلمون أن هذا الحجر الكريم هو يمين الله فى الأرض يصافح به عباده المؤمنين وان له لسانا وعينين تشهد قبله يوم القيامة فهو حجر مبارك لونه أسود مائل للحمرة نزل من الجنة أبيض وسودته ذنوب العباد

وذكر الأزرقى

كان ابراهيم يبنى وينقل اسماعيل الحجارة له على رقبته فما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه ويبنى وبحوله اسماعيل فى نواحى البيت حتى اذا انتهى الى موضع الركن الأسود قال ابراهيم لاسماعيل يا اسماعيل أبغنى حجرا أضعه ها هنا . يكون للناس علما يبدأ منه الطواف فذهب اسماعيل يطلب حجرا فلم يجد ورجع وقد جاءه

جبريل عليه السلام بالحجر الأسود وكان الله عز وجل استودع الركن أبا قبيس حين أغرق الله الأرض زمن نوح . وقال اذا رأيت خليلى يبنى بيتا فأخرجه له . قال فجاءه اسماعيل فقال له . يا أبت من أين لك هــذا ؟ قال جاءنى به جبريل عليه السلام

الحجر الأسود نزل من الجنة

روى الترمذى وأحمد الحاكم وابن ماجه أن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم قال : ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب وروى الامام أحمد وغيره الحجر الأسود من الجنة وكان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك وفى رواية البيهقى ولولا مامسهما من خطايا بنى آدم لأضاءا ما بين المشرق والمغرب وما مسه من ذوى عاهة ولا سقيم الا شفى وقال الامام أحمد فى سنده أن النبى صـــلى الله عليه وسلم قال نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللـــبن فسودته خطايا بنى آدم .وذكر الفاكهى عن ابن عباس عن النبى صـــلى الله عليه وسلم الحجر الأسود من الجنة وكان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك وأخرج البخارى عن ابن عباس قـــال : كـــان النبى صلى الله عليه وسلم بالبيت يطوف على بعير كلما أتى الركن أشار اليه بشئ كان عنده وكبر ولما سأله صحابة رسول الله كيــف تقــول اذ استلمنا الحجر قال . قولوا باسم الله والله أكبر ايمانا بالله وتصديقا بمـــا جاء به رسول الله . والثابت أنه الحجر مبارك قبله النبى صلى الله عليه وسلم ومن سنن الطواف وبدايته وله منزله خاصة فى قلوب المـــسلمين والحجر الأسود من السماء

فقد قام العالم البريطانى ريتشارد ديبر تون برحلـــة الـــى الحجـــاز متخفيا فى زى مغربى مدعيا أنه مسلم ويجيد اللغة العربية واندس بـــين

الحجاج واستطاع أن يحصل على قطعة من الحجر الأسود وحملها معــه الى لندن وبدأ تجاربه عليها فى المعامل الجيولوجية . فتأكد أنــه لــيس حجرا أرضيا بل هو من السماء . وسجل هذا فى كتاب له بعنوان " الحج الى مكة والمدينة " الذى صدر بالانجليزية فى لندن ١٨٥٦ م فان الثابت أنه حجر مبارك قبلة النبى صلى الله عليه وسلم وقد قبلــه عمــر بــن الخطاب رضى الله عنه اقتداء بالرسول صلى الله عليه وســلم والتقبيــل منه عند الاستطاعة وبدون أضرار للناس وقد قال النبى عليــه الــصلاة والسلام لعمر بن الخطاب يا أبا حفص انك رجل قوى فلا تــزاحم علــى الركن فانك تؤذى الضعيف ولكن اذا وجدت خلــوة فاســتلم والا فكبــر وأمضى . فالرسول صلى الله عليه وسلم بكل هذه المشاعر والأحاسيس يقبل الحجر الأسود وهو فى قمة التوحيد لله واخلاص العبادة له سبحانه وتعالى وشعور عمر بن الخطاب عند تقبيل الحجر هو شعور الموحد بالله سبحانه وتعالى وهو المقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم وان الاقتداء به مطلوب فما أضاع المسلمين الا الافراط أو التفريط فبعضهم يــسرف الاعتقاد حتى يؤمن بالخرافة ويتبرك بالأحجار والآثار التى لم يــشرعها دين ولم يأذن بها الله – وآخر يفرط فى الاعتقاد وحتى يثيــر الــشبهات حول الحجر الأسود نفسه غير أن الحق بــين الاثنــين واضــح وجلــى فالاسلام قد أبطل التبرك بالأحجار كلها ولم يستثن من ذلــك الا الحجــر الأسود وكان أصحاب رسول الله على هديه ولا يفوتنا فى هذا المقام ذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن قام بقطع شجرة الرضوان التــى بايع المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها فى الحديبية وجاء

ذكرها فى القرآن الكريم قطعها رضى الله عنه حينما رأى بعض النـــاس يذهبون اليها متبركين فتقبيل الحجر الأسود أمر تعبدى امتثال محض لله ولا يقاس عليها غيرها . وما أحس قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك وكان رسول الله صـــلى الله عليه وسلم كان آخر من وضعه من الأنبياء وذلك حينما بنـــت قـــريش الكعبة وأختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود وكان ذلك قبل البعثة بخمـــسة أعوام . وعندما أجمعت القبائل من قريش على تجديد بناء الكعبة جمعت الحجارة لبنائها ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فأختصموا فيه . كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الأخرى وأعدوا للقتـــال الا أن ابا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال يا معشر قريش اجعلوا فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد فيقضى بيـــنكم فيه ففعلوا وكان اول من دخل عليهم رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم قالوا هذا الأمين قال هلم الى بثوب ثم ارفعوه جميعا بكل قبيلة تمـــسك بناحية من الثوب ففعلوا حتى اذا بلغوا موضعه وضـــعه عليـــه الـــصلاة والسلام بيده الشريفة ثم بنى عليه وروى الأزرقى قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم أنا وضعت الركن بيدى يوم أن اختلفت قريش فى وضعه وقيل أن أول من ربط الحجر الأسود بالقصة هو عبد الله بن الزبير وذلك بعد حريق الكعبة الثانى . ومع الأيام تغلقت أقرمة الفضة من حوله وخلع بعضها .

وقيل أنه عندما اعتمر هارون الرشيد سنة ١٨٩ هـ أمر بالحجارة التى بينها الحجر الأسود فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها ثم أفرغت فيها الفضة ثم ثبت فيها الحجر .

القرمطه يسرقون " الحجر الأسود "

قبيل موسم الحج عام ٣١٧ هـ دعا أبو طاهر بن أبى ربيعة الحسن القرمطى " لعنة الله عليه " كل من فى البحرين والاحساء من الشباب وعشاق السلاح وناداهم هلموا الى فان لى بكم حاجة وذهب مع أصحابه الى مكة ووصل فى أثناء فريضة الحج وقد كان الجميع محرمين وقال طاهر القرمطى أشرعوا سيوفكم وأقتلوا كل من تصادفونه من المكيين والمجاورين ولقد فزعت الخلائق داخل الحرم ووضعت المصاحف أمامها وأما المكيون فهرعوا الى السلاح ولقد استخدم أبو طاهر الحيلة والمكر والدهاء وخرج الى ساحة القتال وقال قد جئنا للحج لا للقتال وان الذنب ذنبكم اذ أفسدتم علينا احرامنا لا تفسدوا علينا حجنا بل دعونا نؤدى الفريضة لقد انخدع المكيون وصدقوا قول هذه الفئة الضالة الخبيثة وأقسم المكيون والحجاج كما أقسم أبو طاهر القرمطى ورجاله وتراجعوا وألقوا السلاح . وأستأنف الحجاج تأدية مناسكهم وطوافهم ولما رأى أبو طاهر القرمطى أن حملة السلاح من المكين والحجاج قد تفرقوا . دخل القرمطى راكبا فرسه وبيده سيف مسلول فصفر لفرسه فبال عند البيت وأمر أعوانه أن هبوا للقتال واندفعوا الى الحرم وقتلوا كل من بداخله وخارجه وجعل الناس يلقون بأنفسهم فى الآبار ويفرون الى رءوس الجبال خوفا من السيف ثم أمر " لعنة الله عليه " أن يدفن القتلى فى بئر زمزم ودفن كثير فى أماكنهم وحتى فى المسجد الحرام ثم امر بخلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها ثم أمر بأن

يقلع الحجر الأسود وقيل ان الذى خلعه له جعفر بن الحلاج بناء على أمر القرمطى ثم خلع الحجر الأسود وأخذوه معهم عندما ذهبوا الى بلادهم فبقى عنده أثنان وعشرون سنة . وقد سجى وقتل القرمطى ما يقارب ثلاثة عشر ألفا من الرجال والنساء والغلمان . ولما رجع القرمطى الى بلاده تبعه أمير مكة ابن محارب هو وأهله وجنده وبذل له جميع ما عنده من الأموال فلم يقبل .

وذكر البعض أن أبا طاهر " لعنة الله عليه " قد ضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه وانصرف الى بلده البحرين والمنطقة الشرقية للسعودية وبقى الحجر الأسود عندهم .

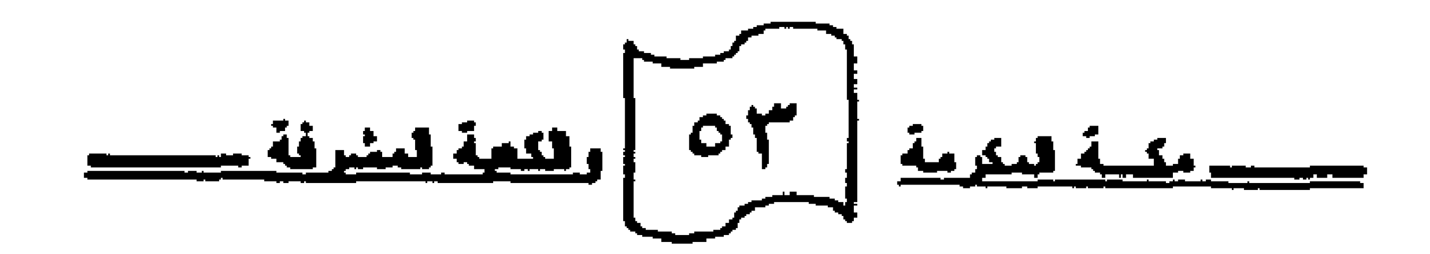
ولم يكن هناك حج فى هذا العام ولم يقف أحد بعرفة . واحتفظ القرامطة بالحجر الأسود بعد أن بنوا له كعبة جديدة فى دولتهم طوال اثنان وعشرون عاما . وبقى مكان الحجر الأسود فى مكة خاليا . يلتمس الحجاج والمعتمرون نجوته بأيديهم ويبكون ويتوسلون الى الله أن يعيد لهم الركن الى مكانه . ولا يفوتنا أن هذا اللعين قد قام ببناء كعبة فى بلدته " هجر " أملا فى أن يحج الناس اليها كما سول له شيطانه . ووضع الحجر الأسود . ولكن أحدا لم يتجه الى هذا البناء ولم يحج اليه الا يعلم أن الحج موقوف على بيت الله فى أرضه بمكة المشرفة . وهلك القرمطى وحل محله سنبر بن الحسن القرمطى وضعفت قوة القرامطة وتهديدهم لدولة الاسلام . وأقتصرت اعمالهم على قطع الطرق وسرقة بعض الناس لتأمين مصدر معيشتهم حتى استبدلوا الحجر الأسود

بخمسين ألف دينار . وقد تكفل الله سبحانه وتعالى أمر تلك الطائفة وقد أمهلهم بعض الوقت فقضى عليهم ومحا ذكرهم وجعلهم عبرة لمن يعتبر

- وفى سنة ٣٣٩ هـ فوجئ المسلمون فى يوم عيد النحر " العيد الأضحى " بزعيم القرامطة الحسن القرمطى يوافى مكة بالحجر الأسود ومعه أمير مكة فوضع سندر القرمطى الحجر الأسود بيده وشد الصانع بالمجص وقال سنبر لما رد الحجر الأسود الى مكانه أخذناه بقدرة الله وردناه بمشيئة الله . ونظر الناس الى الحجر الأسود فتبينوه وقبلوه وحمدوا الله تعالى .

- ويقال أن القرامطة حاولوا غش المسلمين فى " الحجر الأسود " فجاءوا بحجر مماثل له الا أن المفاجأة كانت لهم حيث قرر رئيس وفد مكة اختبار مادة أصل الحجر . وطلب ماء لكون الحجر الأسود يطفوا على الماء فهو ليس كبقية الحجارة المعروفة قطعا مما جعل رئيس القرامطة يظهر تعجبه البالغ وهو يرود هذا دين مضبوط وقيل ان الذى باع الحجر الى المقتدر هو أبو سعيد الجنابى من الكعبة مع القرمطى ٣١٧ هـ هذا الحجر الأسود يطفوا على الماء ولا يحترق وأحضر القرمطى طشت من الماء وألقاه فيه فطفا على رأس الماء ثم أحضر نارا وألقاه فيها فلم يحترق فعجب القرمطى وقال هذا دين مضيوط فرد المقتدر الحجر الى مكة

- وليست هذه الوقيعة الوحيدة التى تعرض لها الحجر الأسود من أحداث فقد تعرض قبلها وبعدها لحوادث أخرى ولكن العناية الالهية كانت دائما تنقذه وتعيده الى مكة فى الكعبة المشرفة



- ويذكر لنا التاريخ أن قوما سرقوه فى عهد جرهم وحملوه علـــى جمل الى اليمن فسار الجمل مسافة ثم برك فضربوه فقام وســـار مسافة أخرى ثم برك فضربوه ثانية فقام وسار مسافة ثالثة ثـــم برك ولم يتم رغم تعدد المحاولات فقالوا ما برك الا مـــن أجـــل الحجر . فاخذوه ودفنوه فى أسفل مكة

" فارس يعتدى على الحجر الأسود "

فى أخر شهر المحرم عام ١٣٥١ هـ دخل المسجد الحرام رجل فارس من بلاد الأفغان وطاف مع الطائفين بالكعبة وأنتهز فرصة انشغال الناس بالطواف تسلل الى الحجر الأسود فأقتطع قطعة منه وسمع الناس صوت المعول وهو يضرب الحجر الأسود فأجتمعوا عليه وأعتقلوه وفتشوه فوجدوا أنه يخفى بين ثيابه قطعة من كسوة الكعبة وقطعة من فضة المدرج الذى هو بين بئر زمزم وباب بنى شيبه . وقدم الرجل للمحاكمة وسأله المحقق هل أنت مسلم ؟ قال . لا وكيف دخلت الكعبة اذن فأجابه بل دخلت خلسة وقد ساعدنى على ذلك الذين انتدبونى لهذه المهمة . نعم لقد استاجرونى لتحطيم الحجر الأسود نظير مبلغ من المال تسلمت نصفه والنصف الآخر عند عودتى بما يثبت أنى قد حطمت الحجر الأسود . ولكنك لم تحطمه. قال منعنى من ذلك الخوف . لأنى سمعت أن كل من حاول تحطيم الحجر الأسود جزاؤه القتل والحرق . ولكنى اكتفيت بقطعة من الكسوة وأخرى من الفضة وهذه أدلة أخذتها كى يجعل الذين أرسلونى انى وصلت الى هنا . ونفذت لهم ما أرادوا وعند حصولى على بقية المبلغ سارحل الى مكان لا يصل الى فيه انسان الا أنه قد حكم عليه بالاعدام حرقا كما أعدم كل من تجرأ على الحجر الأسود بخلع أو كسر وأصبح حكم الاعدام هو العقوبة المنفذة لكل من تحدثه نفسه بأن يمد يد السوء الى الحجر الأسود أو أى جزء من أجزاء البيت الحرام

وهكذا عادت للكعبة المشرفة كل مقاومتها وراح الناس يطوفون بها ويصافحون يد الله في الأرض سعداء بوجوده داعين الله بالمغفرة .

" نشأة بئر زمزم واندثارها "

هناك عند جبال فاران فى صحراء قاحلة بمكة وليس بمكـــة أحـــد يومئذ حيث لا زرع ولاماء ولا أنيس ولا رفيق . والبداية حوالى ١٨٩٢ ق م تقريبا عمد سيدنا ابراهيم عليه السلام الى موضع الحجر فأنزل فيه هاجر واسماعيل وأمرها أن تتخذ فيه عرشا ثم مضى فى طريق عودتـــه وترك معهما ماء وتمرا انها هاجر أم اســماعيل وزوجـــه خليـــل الله أم العرب العدنانيين ورضيعها سيدنا اسماعيل فلو لم يكـــن هـــذا الطفـــل الرضيع ما كانت زمزم ولو لم تكن زمزم ما كانت مكـــة انهـــا أعمـــال وتصرفات صدرت بوحى الهى فترك الخليل زوجته ورضيعها فـــى هـــذا المكان الذى لا يصلح للاقامة . ويوحى من الرحمن ثم هذا حتى يكـــون مكة على ما هى عليه الان فهناك حكمة فى هذه التصرفات الغامضة فقد كان مقررا أن يعود خليل الله سيدنا ابراهيم منطلقا الا أن السيدة هـــاجر تتبعته وتعلقت به وقالت يا ابراهيم تذهب وتدعنا هنا وليس معنـــا مـــا يكفينا ؟ وقالت له هذا مرارا فلم يلتفت اليها لأنه كان على يقين من وعد الله ولم يجبها . الله أمرك بهذا يا ابـــراهيم فقـــال . نعـــم .ورجعـــت أم اسماعيل تحمل ابنها فهى الزوجة التى آمنت بربها وعرفت مدى اليقين بصدق وعد الله وفهمت كيف تكون معينة لزوجها على طاعة ربه وتقول فى غير تردد ولا قلق اذن لا يضيعنا وأتصرف ابراهيم وهو يدعو ربـــه ويقول

(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (سورة إبراهيم: ٣٧)

وجعلت أم اسماعيل ترضع ابنها وتشرب من ذلك الماء حتى اذا مانفذ ما فى السقاء وعطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى جوعا وعطشا ويصرخ وتنظر الى رضيعها الذى يدمى قلب الأم الحنون فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض فهرولت اليه وقامت عليه ثم استقبلت الوادى فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت بطن الوادى رفعت طرف زراعيها . ثم سعت سعى الانسان المجهود ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت ولكنها لم تر أحدا فعلت ذلك سبع مرات حتى تمكن التعب ولأن الخليل امتثل لأمر ربه وأسكن فيه زوجته هاجر وابنها اسماعيل عليهما السلام ودعا الله فأستجاب الله دعاءه ففجر الحق له ولذريته ولنا عين زمزم وهيأ لهم المعيشة حيث بعث الله جبريل عليه السلام فضرب الأرض بجناحه لتخرج عين ماء بجانب الصغير " الطفل اسماعيل " فتهرول الأم نحوها وقلبها ينطق بحمد الله على نعمته وجعلت تشرب من ماءها وتحاول انقاذ فلذة كبدها وتقول لعين الماء زمى فكانت زمزم .

والحديث عن زمزم حديث شيق وممتع فهو مرتبط بخليل الله سيدنا ابراهيم أبو الأنبياء وسيدنا اسماعيل والسيدة هاجر عليهما السلام فلو لم يكن الخليل ما كان اسماعيل ولو لم تكن هاجر واسماعيل ما كانت زمزم وما كانت مكة .

أن اسماعيل الرضيع ترك مع أمه فى هذا المكان فهو الذى سيعيد مسئولا مع والده عن بناء الكعبة فيما بعد وينحدر من صلبه العرب العدنانيين فأقتضت حكمة الله عز وجل أن يمتد العمران الى هذا الوادى وأن يقام فيه بيت الله الحرام قبلة المسلمين .

وروى البخارى عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم لكانت زمزم عينا معينا .

قال ابن عباس: انى سمعت رسول الله صلى عليه وسلم : ان آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من زمزم وقال العباس بن عبد المطلب تنافس الناس فى زمزم فى الجاهلية وكان أهل العيال يشربون منها هم وعيالهم فتكون صبوحا لهم وكنا ندعها عونا على العيال . كانت زمزم تسمى فى الجاهلية شباعة يعنى زمزم ويجوز نقل ماء زمزم .

قالت السيدة عائشة أنها حملت من ماء زمزم فى القوارير و قالت حمله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأوادى والقرب وكان يصب على المرضى ويسقيهم فماء زمزم هو خير ماء على وجه الأرض فان شربته بنية الشبع أشبعك باذن الله وان شربته بنية الشفاء شفاك الله لأنه طعام طعم وشفاء سقم وقال صلى الله عليه وسلم : ماء زمزم لما شرب له .

وقد أمرالرسول صلى الله عليه وسلم التزود منه وحمله الى البلدان جميعا وهو ماء كثير لا يفنى ولا ينقطع بالرغم من كثرة الاستسقاء منه باق ما بقيت الدنيا والى أن يرث الله الأرض ومن عليها

ونعلم جميعا أن عظمة الشئ ورفعته تعكسها كثرة أسـمائه وصـفاته .
ولزمزم الكثير من الأسماء منها:
بركة- بره . بشرى . مكتومة – حرميه حفيرةعبد المطلـب- ركـضة جبريل ووطأة جبريل زمزم -زمازم مابق – ساعة . سقيا الله اسماعيل - سقاية الحاج سيدة – شباعة- شراب الأبرار، صـافية ، طـاهرة – طعام طعم ، طعام الأبرار – طيبة ، عاصمة – عافية – مأثرة العباس بن عبد المطلب ، مؤنسة ، ميمونة ، نافعة ، نفرة القراب الأعصم

وقد ظلت السقاية وهى مهمة توفير المياه للحجيج والزوار مـن المهام المقدسة التى يحرص عليها سكان مكة لينالوا شرفها ويـستحب لشارب ماء زمزم أن يستقبل القبلة ويذكر أسماء الله تعالى ويتنفس ثلاثا ويشرب ان التضلع والشراب من ماء زمزم متعة يستمتع بهـا المـرء بجانب البركات التى فى هذا الماء المبارك وتدعو كما كان ابن العبـاس بن عبد المطلب يدعو به اذا شرب ماء زمزم قال : " اللهم انـى أسـألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء " ولا يقتصر على هذا الدعاء بل ما يدعو ما أحبه من أمر الآخرة ويتجنب الدعاء بما فيه مآثمه.

ومنذ هذا التاريخ وماء زمزم يتدفق بالخير والبركة الى أن شـاء الله ومرت الأيام والسنون وتعاقبت الأجيال واندثرت زمزم وزال أثرها بمرور الأيام ومرت عليها السنون عصرا بعد عصر . ولم يبق لزمزم أثر الـى أن دفنها جرهم حينما تركوا مكة وذهبوا عنها .

" عبد المطلب يحفر زمزم "

ظلت زمزم مجهولة المكان حتى ولى عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم سقاية البيت فبوأه الله تعالى شرفا عظيما لم يبلغه أحد . وعظمت مكانته وأستقرت محبته فى نفوس الناس لاهتمامه بمصالحهم وسعيه الدائم فى سبيل خيرهم وسقايتهم ونظرا لما يعانيه الناس من المشقة فى الحصول على الماء من خارج البيت ونقله الى داخله . فنراه يحدث ولده الحارث بهذه المشكلة ويقول له يا بنى فكر معى لعلى أجد حلا سريعا لها . ورد ولده يا أبت ألم تسمع بقصة زمزم – تلك العين التى تفجرت لجدنا اسماعيل وأمه هاجر . يا بنى لقد سمعت الكثير عنها وأنا أعلم يقينا انها موجودة بالبيت فى مكان منه ولكن المكان غير معلوم لأحد . هذه العين قد طمستها جرهم قبل ان تخرج مكة مطرودة مقهورة . طمستها وضيعت معالمها ولكن طمس العيون لا يقضى عليها نهائيا . وقال الحارث لأبيه عبد المطلب هل تحفر فى البيت كله فنحضر فى كل مكان حول الكعبة ونطلب العون من الله ، ورد عبد المطلب على ابنه وقال له : دعنى أنام فى الحجر الليلة وأسأل الله تعالى أن يعيننى فى هذه الليلة وعبد المطلب نائم أتاه فقال له احفر طيبه وما طيبه ؟ وفى الليلة التالية ناداه الهاتف نفسه فى منامه وقال احفر " بره " وما بره ؟

وفى الليلة الثالثة سمع الهاتف نفسه فى منامه وقال له احفر المضمونه وما المضمونة ؟ احفر زمزم . وما زمزم ؟ لا تنزف أبدا ولا تذم .

تسقى الحجيج العظم وهى بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعظم عند قرية النمل وهى شرف لك ولولدك وكان الغراب العظم لا يبرح عند الذبائح مكان الفرس والدم وقد أخذ عبد المطلب معوله وأدوات الحفر والحارث وأخذ الاثنان يحفران مدة ثلاثة أيام عن زمزم وهى دفن بين صنمى قريش (اساف ونائلة) عند منحر قريش حتى بدالهما الطين- الحجارة التى طوى بها البئر فكبر- فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ولما تمادى فى الحفر وجد فيها غزالين من ذهب قد دفنتهما جرهم فيها حين خرجت من مكة كما وجد فيها أسيافا ودروعا وسلاحا . فقالت له قريش ان لنا معك فى هذا شركا وحقا قال عبد المطلب لا ولكن هلم الى أمر ينصف بينى وبينكم . وقالوا كيف نصنع ؟ قال : اجعل للكعبة قدحين ولى قدحان ولكم قدحان . فقالوا أنصفت فجعل قدحن أصغرين للكعبة . وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش . ثم قال اعطوها من يضرب بها عند هبل وضرب بالقداح

- فخرج الأصغرين على الكعبة
- وخرج الأسودان على الأسياف والدروع لعبد المطلب وتخلف قدح قريش .
- وضرب عبد المطلب الأسياف على باب الكعبة . وضرب فوقه أحد الغزالين من الذهب فكان ذلك أول ذهب حليت به الكعبة . وجعل الغزال الآخر فى بطن الكعبة فى الجنب الذى كان فيها . ويوضع فيه ما يهدى الى الكعبة

- ولما حفرت زمزم قالت قريش يا عبد المطلب انها بئر اسماعيل ولنا فيها حق فاشركنا معك فيها . قال ما انا بفاعل . ان هـذا الأمـر خصصت به دونكم فقالوا انصفنا فان غير تاريك حتى نحاكمك فيهـا فقال عبد المطلب لقريش فأجعلوا بينى وبينكم من شئتم احاكمكم اليه قالوا كاهنة بنى سعدهذيم بالشام . ركب عبد المطلب ومعه نفر مـن بنى أبيه من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة نفر . وهـم بـين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أوشكوا على الهلاك ولما طلبوا السقيا من تحذف قبائل قريش فأبوا علـيهم وقالوا : انا بمفازة . ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم . فلما رأى عبد المطلب من صنع القوم . وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال . ما ترون ؟ قالوا مالنا رأى نحن تبع لرأيك فمرنا بما شئت قال . اى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه . فكلما مات رجل دفع به أصحابه فى حفرته ثم واروه قال عبد المطلب ارتحلوا عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد تقدم عبد المطلب انى راحلته فركبها فلمـا انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه . ثم نزل فشرب وشرب أصحابه . ثم دعا قبائل قريش هلموا الى الماء فقد سقانا الله فأشربوا وأسـقوا ومـلأوا أسـقيتهم فقالت قريش : والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى سـقاك فـى هذا الماء بهذه الفلاه لهو الذى سقاك زمزم فأرجع الى سقايتك فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبينها

- وخلصت ملكية زمزم لعبد المطلب الرجل الذى وقف بين الناس ليعلن. انه سيبنى حوضا على هذه العين يملؤه بالماء . لا يجوز لأحد العبث به أو يلقى فيه القذر وقال : انى لا أحل هذا الماء للعابثين وما عدا ذلك فهو حق للجميع أى جميع الخلائق . وأنصرف الناس اليها لمكانتها فى المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولأنها بئر اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام . ولقد افتخرت بها بنى عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب ولقد ظلت السقاية وهى مهمة توفير المياه للحجاج والزوار من المهام المقدسة التى يحرص عليها سكان مكة لينالوا شرفها . ولقد تولى السقاية على مر العصور كبار رجال قريش ويغذى بئر زمزم ثلاث عيون " منابع " وهى كالتالى :

١- عين أو منبع قادمة من الركن المواجه لحجر اسماعيل ويتدفق منها الجزء الأكبر من مياه زمزم المباركة

٢- عين أو منبع قادمة من جهة أجياد وجبل أبى قبيس والصفا

٣- عين أو منبع قادمة من جهة المروة وهذه العيون أو المنابع أو الفتحات لا توجد فى مستوى واحد بل فى مستويات عدة فى عمق البئر

وكان عبد المطلب بن هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم هو المسئول عن السقاية . وتولى من بعده ابنه أبو طالب عم الرسول ثم تولاه من بعده أخوة العباس وقد ظلت السقاية فى أبناء العباس بن عبد المطلب حتى نهاية الخلافة العباسية ثم تنازلوا عنها لأحفاد الزبير بن

العوام الذين تولوها لمدة طويلة ثم اشترك معهم آخـرون ولقـد ظلـت السقاية فى يد آل الزبير وفى الحقيقة أن الـسهولة والتيـسير اللـذين أصبحا متوفرين لمن أراد التبرك بالشرب من ماء زمزم المبارك . ولذلك لما قام به أولى الأمر من الأسرة الـسعودية مـن اصـلاحات عظيمـة مستخدمين فى ذلك أحدث ما وصـلت اليـه العلـوم الحديثـة وأحـدث تكنولوجيات فى هذا المقام

" أبرهة يحاول هدم الكعبة " فى عهد عبد المطلب

ان الذين ينتسبون الى اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام كانوا أقل حظا من اخوانهن الجنوبيين فى بلاد اليمن أما أهل الشمال من الجزيـرة العربية فكانوا قبائل متعددة من أهمها قبيلة قريش . كانت هذه القبائـل يجتمعون فى دار الندوة يتشاورون فيما بينهم فى موسم الحـج . وورث أبناء قصى الزعامة حتى انتهت الى هاشم ثم الى ابنـه عبـد المطلـب يتضح من ذلك أن العرب كانوا فى القرن ٦ الميلادى ومستهل القرن ٧ الميلادى قبائل لا تخضع لحكومة عربية أو غير عربية ولما سئم العرب استمرار القتال بينهم جعلوا أربعة أشهر حرمـا وهـى ذو القعـدة ، ذو الحجة ، والمحرم ، ورجب تبطل فـى أثنائهـا المنازعـات والحـروب ويتحقق الرخاء وهذه فرصة للحج وتبادل التجارة فى الأسواق بـالقرب من مكة كعقاظ وذى المجاز للمباراة فى ميدان البلاغة شعرا أو نثرا وكان أهل الجنوب فى اليمن يعبدون الشمس والقمر والنجوم والكواكـب أما أهل الشمال فما برحوا يذكرون أن أباهم اسماعيل ساهم مـع أبيـه ابراهيم فى بناء الكعبة ليحج اليها الناس وأن الكعبة وما حولها صـارت حرما آمنا لا يقتل فيه حيوان ولا يعتدون فيه على انسان .

لقد غزا الأحباش اليمن وأستولوا عليه وقرروا نشر النصرانية فى بـلاد العرب . فبعثوا جيشا بقيادة " أبرهة الاشرم " وكان أبرهه يفاوض عبـد المطلب فى غنمه والكعبة فقال عبد المطلب قولته المـشهورة : " أريـد غنمى أما البيت فله رب يحميه " تقدم أبرهه بجيشه نحو الكعبة وكـان هذا الجيش يتكون من عدد الفيله فبلغ مكة عام ٥٧١م وسـمى عـام

الفيل وقع الرعب فى قلوب العرب . اذا لم يألفوا الغزو الأجنبى ولم يكن لهم علم باستعمال الفيلة فى الحروب . فى وسط هـذا الخطـر الـداهم نسىعبد المطلب ومن حوله التماثيل التى يعبدونها ويـسمونها الاوثـان والأصنام فلم يستعينوا بها بل وجهوا تفرغهم وتوسلهم واستغثاتهم الى الله . وما لبث أن ارتد " أبرهة " وعاد بجيشهه الى اليمن بعـد تفـشى المرض فى الجيش وهطورالأمطار ونزول العقاب الأليم من عند الله .

كما فى قوله تعالى

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ)

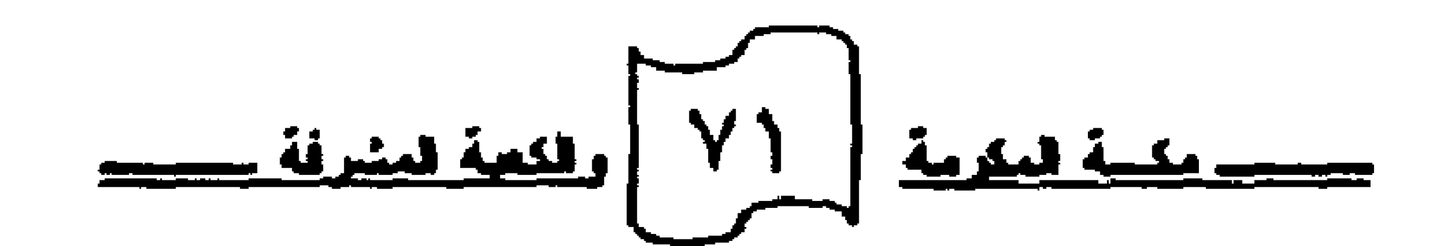
(سورة الفيل)


الفصل الرابع

تبع ملك اليمن يحاول هدم الكعبة

كان هذا فى أول زمن قريش . ولتبع وقدومه الى بيت الله العتيق قصة . سار تبع الأول الى الكعبة محاولا هدمها وتخريبها وخزاعة يومئذ تلى البيت وأمر مكة . فقامت خزاعة وقاتلت دفاعا عن البيت وأمر مكة فقامت خزاعة وقاتلت دفاعا عن البيت أشد القتال حتى رجع بعد هزيمة منكرة . وما حدث مع تبع الأول حدث مع تبع الثانى

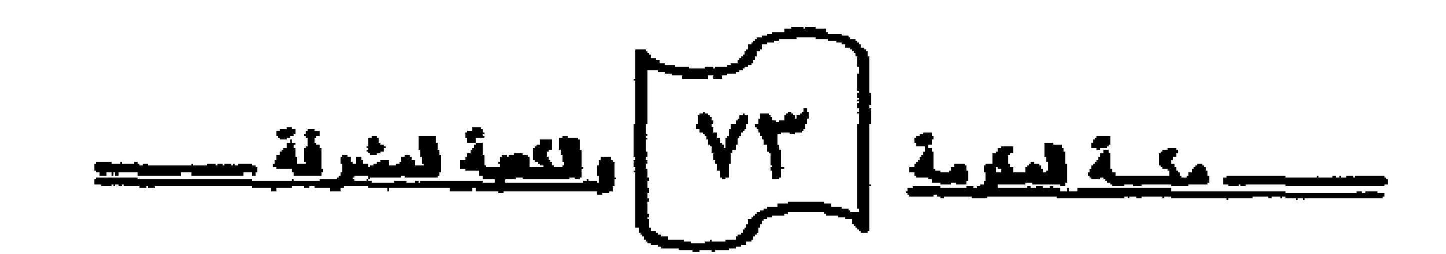
أما تبع الثالث الذى أراد هدم البيت . وأما أسباب مسيره اليه ان قوما من هذيل من بنى لحيان جاءوا الى تبع الثالث ملك اليمن وقالوا له : ان بمكة بيتا يعظمه العرب جميعا وتفدى اليه وتنحر عنده الذبائح ونحجه ونعمره وان قريشا حازت مشرفة وذكره وأنت أولى أن يكون ذلك البيت وشرفه لك فلو سرت اليه وخربته وبنيت بيتا عندك ثم حرصت حجاج العرب اليه كنت أحق به منهم فاجمعوا للسير اليه فلما كان تبع الثالث يتجة للبيت مع جيشه بفرض هدم الكعبة . أظلمت عليهم الأرض وهبت عليهم الريح باذن الله فدعا أحبارا كانوا معه من أهل الكتاب فسألهم عن سبب هذا ؟ فقالوا هل هممت لهذا البيت بشئ ؟ فقال . أردت أن أهدمه – ومن وجهك لهذا العمل ؟ قال الهذليون . والله ما أرادوا بهذا الا هلاكك وهلاك قومك ان هذا بيت الله الحرام . ولم يرده أحد بسوء الا هلك فما الحيلة ؟ تنوى لهذا البيت خيرا وأن تعظمه وتكسوه وتنحر عنده وتحسن الى أهله فانجلت عنهم الظلمة وسكتت الريح وانطلقت ركابهم ودوابهم ثم أمر تبع بالهذلين فضربت رقابهم



وتم صلبهم وانما فعلوا ذلك حسدا لقريش على ولايتهم البيت فذهب تبع الى البيت ونحروا وأعطى للبيت مهابته وقدسيته وأوصى به ولاته مـن قبيلتهم وأمر بتطهيره وجعل للكعبة بابا يغلق بضبة فارسية ومفتاحا

بناء قصى للكعبة

وتسير بنا خطا الزمان قليلا الى عهد أخر من قصة بنــاء الكعبــة المشرفة حيث نراها فى عهد قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لــؤى بن فهر بن مالك بن القصر بن كنانة الجد الخامس لرسول الله ﷺ الذى هو من قريش سليل سيدنا اسماعيل . قيل ان قصى لم يكن اسمه قصي بل زيدا وسمى قصيا بعد ذلك لأنه قصى عن قومه بعــد أن تزوجــت أم قصى بربيعة بن حرام من سادات بنى حزره بعد وفاة زوجها كلاب بــن مرة والد قصى وقد حدث خلاف بينه وبين رجل من بنــى حــزره فيــه الرجل بقوله وانما أنت فينا ملصق فرجع قصى الى أمه وسألها . قالــت يا بنى لقد صدق والله ولكن رهطك خير من رهطه وأباءك أشرف مــن أبائه أنت من قريش جدك اسماعيل وبنو عمك بمكة المكرمة وهم جيران بيت الله الحرام . وبعد أن أخبرته بقومه . قال لامه سألحق بقومى فــى مكة ورجع من الشام من غير زوج أمه . فأخبرته والدتــه ألا تتعجــل وتنتظر حتى تخرج مع الحجاج المتجهين الى مكة خشية عائله الطريــق أن سافرت منفردا وفى مكة المكرمة تودد الى سيد خزاعة وتزوج مــن هذه القبيلة حتى بنت خليل بن حبشية الخزاعى فأنجبت له من الــذكور الكثير وكثر ماله وعظم شرفه . ولما توفى خليل وكان يلى أمــر مكــة المكرمة انتزع قصى ولاية مكة المكرمة من خزاعة معتبرا نفسه أولــى منهم وقيل أن قصى اشترى ولاية مكة والبيت أبت خزاعة على قــصى ذلك فاستعان بقومه من قريش وبأخيه من أمه رزاح بن ربيعة بن حرام

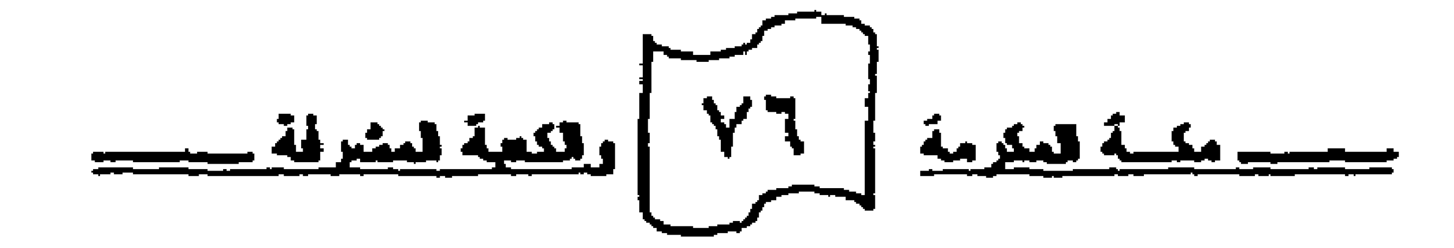


اذ بعث اليه قصى يستنصره فلبى دعوته وآزره على خذاعـــة وتحـــارب الطرفان وكثر القتل والجراح . ولكنهم تداعوا الى الصلح على أن يحتكما الى يعمر " عمر " بن عوف بن كعب وكان سيدا شريفا مسموع الكلمـــة وكان حكمه على مسمع الحشود التى بالكعبة . ومن البداية كان واضحا مدى دهاء قصى ووعيه السياسى والعبقرى والاستيلاء علـــى الـــسلطة وانتزاعها لقريش من خذاعة وعلى ضوء ذلك جمع قصى قومـــه مـــن الشعاب والأودية والجبال وملك عليهم وحكم فيهم . وقسم ملكه بيـــنهم فبنوا المساكن الخاصة بهم وسكنوها وبنى قصى دار الندوة وجعل بابها الى الكعبة وكان ذلك فى نصف القرن الخامس الميلادى أى ما يقرب من مائة وخمسين عاما من الهجرة النبوية الشريفة وكانت المـــساكن عـــن سفوح الجبال المحيطة بالوادى وكانوا ينزلون اليها نهارا لزيارة الكعبة أو الطواف بها أو الجلوس عند الكعبة لادارة شئونـهم . ولذلك يقال أن قصى أول من بنى مكة " البلدة " المحيطة بالكعبة المشرفة وأتخذ من دار الندوة مقرا لسكناه واقامته . ومن خلالها تدار شـــئون القبيلـــة ومكـــة المكرمة فكانت أبرز مؤسسات قصى السياسية . المهم انه وفـــى عهـــد قريش لقيت الكعبة المشرفة كل عناية واهتمام خاصـــة بعـــد أن أعـــاد زعيمها قصى بن كلاب هيمنة قريش على شئون مكة والكعبـــة وكـــان تجديد وبناء الكعبة المشرفة ولقد قيل ان قصى بن كلاب لما ولـــى أمـــر البيت نقض عهده ثم هدم الكعبة وبناها بنيانا لم يبنيه أحد من بناها قبله وقيل أن أول من جدد الكعبة من قريش بعد ابراهيم قصى بـــن كـــلاب .

وحدثنا عبد الله بن يزيد أيضا أنه قال فى خبر قصى بن كلاب انه بنـــى البيت بعد بناء ابراهيم ثم بنته قريش .

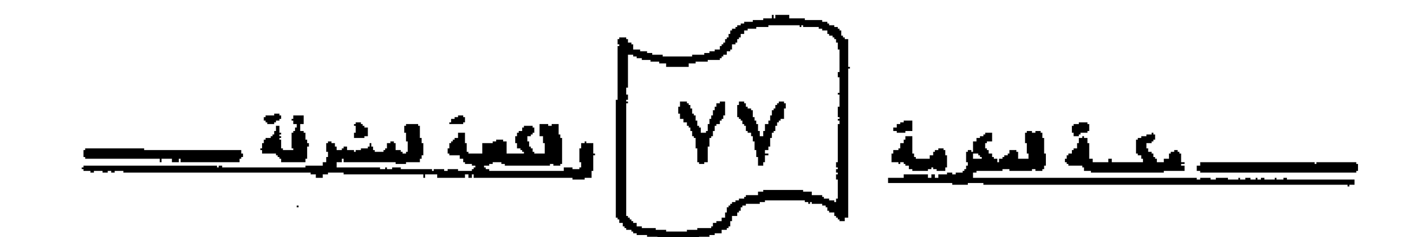
بناء قريش للكعبة

وأما بناء قريش للكعبة وهو ثابت كما فى السنة الشريفة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمسة وعشرون عاما وقيل خمسة وثلاثون عاما وروى البخارى عن عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول عند بناء الكعبة ذهب النبى ﷺ وعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبى اجعل ازارك على رقبتك يضاف الى ذلك تحكيم قريش " لمحمد " فيما ينال شرف وضع الحجر الأسود فى الكعبة عندما اختلفت القبائل فى وضعه وقيل أن سبب بناء الكعبة أن امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت من جمرتها شرارة فاحرقت كسوتها وتوهنت جدرانها من كل جانب . كما جاءت السيول ودخلت الكعبة وصدع جدرانها وفزعت من ذلك قريش فزعا شديدا وهابوا هدمها . وخافوا ان مسوها بسوء ينزل عليهم العذاب . وكان هذا هو سبب العمارة واجتمعت قريش لبناء الكعبة . وتسهيلا من رب الكعبة عز وجل - رمى البحر سفينة الى جده لرجل من تجار الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد- وكانت متجهة الى الكنيسة التى أحرقها الفرس للحبشة . وفى مرساها فى جدة بعث الله عليها ريحا فحطمتها . وسمعت قريش بذلك فذهب وفد للتفاوض على شراء أخشابها وما فيها من أدوات البناء . وأبرمت الصفقة من أجل تجديد وبناء الكعبة وتشجعوا على البناء . وكان بمكة نجار جهز لهم وصنع ما يصلح للكعبة من أخشاب وتعقد الموقف أمام قريش فقد كانت هناك حية تخرج من بئر الكعبة فتتشرق على جدار



الكعبة وكان لا يدنوا منها ا أحد الا صوتت ورفعت ذنبها أى صوتت وفتحت فاها وكانوا يهابونها فوقفوا عند مقام ابراهيم ودعوا .

ربنا أردنا عمارة بيتك اللهم ان كان لك فى هدم الكعبة رضا فأتمه واشغل عنا هذه الحية وقيل أيضا فبينما هى ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع . بعث الله طائرا فأختطفها وذهب بها وقد كفانا الله الحية وقد أجتمعت قريش فى هدم الكعبة وبنائها وجمعوا ما بداخل الكعبة من حلى ومال ومعاليق وجعلوها عند أبى طلحة عبد الله بن العزى بن عبد الدارين قصى وقيل عائذين عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسيكم الا طيبا ولا يدخل فيها بغى ولا بيع ربا ولا تظلموا أحد من الناس . والشاهد من ذلك أن الكثير من وجهاء قريش وساداتها خائفين مترددين من الصعود او الاشراك فى هدم الكعبة وجمعهم الوليد بن المغيرة أتريدون بهدفها الاصلاح أو الاساءة فقالوا نريد الاصلاح . قال ان الله لا يهلك المصلحين من الذى يعلوها فنبدأ الهدم ؟ فرد الوليد بن المغيرة عليهم فقال أنا أعلوها فأهدها أنا شيخ كبير فان أصابنى أمر كان أحلى قدرنا وان كان غير ذلك فانى أحمد الله على الحالين ثم بدأ الهدم من ناحية الركنين والقلوب واجفة خائفة مترقبة تتوقع ان يصاب بسوء ويصابوا وتسهر قريش تلك الليلة وقالوا ننتظر فاذا أصيب لم نهدم شيئا . وان لم يصبه شئ فقد رضى الله صنعنا واصبح الوليد من ليلته غاديا الى عمله فلما رأت قريش ما هدم منها ولم يأتهم ما يخافون من العذاب هدموا معه وتصل معاولهم الى حجارة



صماء ضخمة على شكل أسنمة الجمال ثابتة فـــى الأرض(القواعـــد)لا تتأثر بأقوى المعاول فى يد أقوى الرجال . وتأخذهم الدهشة فى أمر هذه الحجارة . فيجيبهم الوليد هذه هى القواعد التى امر الله نبيـــه ابــراهيم برفعها .

فحين يقول قائل دون شك يا ابن المغيرة : انها حجارة غريبة ليست من أرضنا وهنا يقول ابو حذيفة وهو يتأملها بلونها الأخضر ولما نحاول هدمها لنرى ما تحتها فيوافقه الجميع ويحاولون خرب الأحجار بمعاولهم مجتمعه ولكن المعاول تتحطم دون أن تتاثر . فيصيح الوليد اضـــربوها بالعتلة . أوضعوا العتلة بين اثنين منها ثم حاولوا التفريق بينهـــا فقـــد يتحركا ويظهر لنا ما تحتها ؟ وفجأة يبرق بالمكان ضوء يخطف الأبصار فوقفوا عند القواعد وتراجعوا فى فزع يتـــساءلون عـــن هـــذا الـــضوء ومصدرة وقبل أن يأتيهم الجواب . تنقلت من أحد الأحجار قطعة صغيرة وتستقر على الأرض فيسرع اليها أبو وهب ويمـــسك بهـــا ويتفحـــصها ولكنها تطير من يده وتعود الى مكانها فى الحجر الذى أتت منه مثل مـــا كانت . ولم يلبث ذهولهم أن يتضاعف عندما ترتجف الأرض من تحـــت أقدامهم . وتهتز مكة كلها بفعل زلزال قوى يرجها رجا عنيفا قاسيا وهنا يتراجع الجميع عن مس هذه الأحجار بسوء وبدأ البناء علـــى القواعـــد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجـــارة . واســـتمر البناء بهمة وعزيمة وتسابقوا فيمن ينال شرف البناء فى بيت الله الحرام وحين وصلوا الى موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يرفعه الى موضعه دون الأخرى و تخالفوا وتحاوروا واستعدوا للقتـــال ثـــم اجتمعـــوا فـــى



المسجد وتشاوروا وتصافوا وقيل أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد بن عمرو بن مخزوم قال يا قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل هذا المسجد يقضى بينكم فيه . ففعلوا وكان أول من دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة طبعا . فلما رأوه قالوا هذا الأمين هذا محمد فلما انتهى اليهم قالوا الخبر .

قال هلم الى ثوبا فأتى به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده الشريفة . ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا الى موضعه وضعه بيده الشريفة ثم بنى عليه وقال " أنا وضعت الركن بيدى يوم اختلفت قريش فى وضعه " وبعد بناء الكعبة زوقوا سقفها وجدرانها من باطنها ودعائمها فكانت صورة ابراهيم خليل الرحمن يستقسم بالأزلام وكذلك جعلوا فيها صور الملائكة ، وصور الشجر وصورة مريم عليها السلام مزوقا فى حجرها عيسى قاعدا وكذلك سقفها . وظلت هذه الصور حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بازالتها بعد فتح مكة فى العام الثامن للهجرة لأن ذلك مناف للاسلام ولما فرغت قريش من بناء الكعبة خلع الوليد بن المغيرة الخف والنعل ولم يدخل بهما اعظاما لها وتقديرا وكان أول من فعل ذلك فجرى ذلك سنة ولا يفوتنا ذكر أن رجلا وامراة من جرهم فجرا فى داخل الكعبة الشريفة وكان يسمان أساف ونائلة فمسخهما الله تعالى حجرين فأخرجا من داخل الكعبة الشريفة ووضع أحدهما على الصفا والأخر على المروة للعبرة فتحولا بعد ذلك الى اصنام وعبد بأمر من عمرو بن لحى الخزاعى ثم حولهما قصى أحدهما يلصق بالكعبة المشرفة والثانى فى موضع زمزم

وقال ابن اسحاق : بعد بناء الكعبة ان قريشا وجدتا فـــى الـــركن كتابـــا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود : فاذا هو : " أنا الله ذو بكة " خلقتها يوم خلقت السموات والأرض .وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشابها مبارك لأهلها فى الماء واللبن وقالوا أيضا : أنهم وجدوا فى المقام كتابا فيـــه " مكة بيت الله الحرام " يأتيها رزقها من ثلاث سبل لا يحلها أول من أهلها كما أنهم وجدوا حجرا فى الكعبة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وســلم بأربعين سنة مكتوبا فيه . من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد الندامة .

أركان الكعبة :-

(١) **الركن الجنـوبى الـشرقى** : ويطلق عليه الركن الأسود لأنه يوجـد بـه الحجر الأسود وهو مبدأ الطواف ومنتهاه وبواجه هـذا الـركن الجـزء الجنوبى من بلاد الحجاز الى عدن ومدغشقر واستراليا وجنوب الهند والصين .

(٢) **الركن الشمالى الشرقى** : ويسمى بالركن الشامى أو العراقـى وبواجـه الجزء الشمالى من الحجاز وايران وتركمان والعـراق وشـمال الهنـد والصين وسيبريا .

(٣) **الركن الشمالى الغربـى** : ويسمى بالركن الغربى ويواجه من البلاد مصر والمغرب وتركيا وأوربا وغرب آسيا

(٤) **الركن الجنوبى الغربى** : ويسمى بالركن اليمانى ومواجهة اليمن وجنوب افريقيا وجنوب شرق افريقيا .

حريق اخر للكعبة

يمضى بنا الزمن بعد الفتح المبين وتطهير الكعبة من الأوثان وما يخالف عقيدة الاسلام . وقد تألقت الكعبة بنور وهاج وهو نور الاسلام الذى أشرق على الجزيرة العربية بعد تطهيرها من الشرك والأوثان لقد بدأ النزاع السياسى على الحكم ودبت النزاعات والخلافات بين المسلمين فيما بين عام ٦٠-٦٤ هـ ٦٧٩-٦٨٣ ثم بويع يزيد بن معاوية فى حياة أبيه ليكون وليا للعهد ثم أكدّ البيعة لنفسه بعد وفاة والده وعند تسلمه الحكم قامت ضده الثورات فقد واجه نفرا من المسلمين يمتنعون عن مبايعته ثم ما لبثت معارضتهم لبيعته الى ثورة مسلحة وطلب يزيد من أمير المدينة المنورة الحصول على البيعة من الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ولكن الحسين بن على وأبن الزبير رفضا وخرجا من المدينة الى مكة أما عبد الله بن عمر بايعه عندما بايعه الناس ولما علم أهل العراق برفض الحسين مبايعة يزيد وتوجهه الى مكة وجدوا الفرصة سانحة للتخلص من الأمويين واعادة الدولة كما كانت فى عهد على ليتولى أمرهم الحسين بن على . فهو أحب اليهم من يزيد . فأرسلوا رسلهم الى الحسين ليحرضوه على المطالبة بالخلافة ويطلبوا منه المسير الى الكوفة . بعث الحسين ابن عمه " مسلم بن عقيل بن أبى طالب الى الكوفة ليتبين الموقف فرأى من أهلها اقبالا ورغبة فى مبايعة الحسين وأرسل اليه يستعجله . تحرك ركب الحسين رضى الله عنه الى الكوفة فى هذا الجو المتأزم الملبد

بالغيوم فنصحه كبار الصحابة وكبار شيعته مثل أخيه محمد بن الحنفية وعبد الرحمن بن الحارث المخزومى وغيره ليصرف النظر عن الذهاب الى العراق . خرج الحسين رضى الله عنه فى جماعة من شيعته لا يزيدون عن ثمانين رجلا ومعه نساؤه وأطفاله قاصدا الكوفة دون أن يعلم ما حدث فيها وكانت القوات الأموية فى انتظاره . ولم يكن اللقاء ومتكافئا وفى كربلاء التحم الفريقان وسقط الحسين رضى الله عنه شهيدا بالقرب من الكوفة يوم عاشوراء فى العاشر من المحرم ٦١هـ/ ٦٨م وتخلص يزيد من أحد منافسيه الأقوياء . وبقى عبد الله بن الزبير وذهب عبد الله بن الزبير الى مكة محتميا بها وسمى نفسه العائذ بالبيت فلما بلغه استشهاد الحسين- أخذ البيعة لنفسه من أصحابه فى وجود ولى مكة الأموى وجمع ابن الزبير مواليه واستمر يخطبهم ويظهر عيب يزيد بن معاوية وشربه الخمر . فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فأقسم ألا يؤتى به الا مغلولا وأرسل اليه رجلا من أهل الشام فى خيال من خيالة الشام يستقدمه وقال له انها الفتنة يا ابن الزبير وانه لأمر عظيم لأنه يستحل الحرم بسببك فأشار على أمه أسماء بنت أبى بكر فأبت عليه أن يذهب مغلولا . وقالت يا بنى عش كريما أو مت كريما ولا تمكن بنى أمية من نفسك فتلعب بك فالموت أحسن من هذا وأبى ابن الزبير أن يذهب اليه فى غل وتولى قيادة الجيش الأموى الزاحف على مكة " الحصين بن نمير " وغلب الحصين على مكة كلها الا المسجد الحرام فلجا ابن الزبير وأصحابه الى المسجد وبنوا حول الكعبة بيوتا من القصب وأرفف من الخشب يستترون فيها من حجارة المنجنيق ويستظلون بها



من الشمس وكان " الحصين بن نمير" قد نصب المنجنيق على جبل أبى قبيس وقيقعان يرمى بها الكعبة المشرفة حتى تمزقت كسوتها وترجرجت حجارتها . وهدأت الحرب قليلا وتوقف الرمى بالمنجنيق فقام " عبد الله بن عمير الليثى " قاضى ابن الزبير واعتلى الكعبة ينادى بأعلى صوته : يا أهل الشام . هذا حرم الله . الذى كان مأمنا فى الجاهلية يسأمن فيه الطير والصيد . فأتقوا الله يا أهل الشام فيصيح الشاميون الطاعة . الطاعة فلم يزل على ذلك حتى أحرقت الكعبة فقال أصحاب ابن الزبير نطفئ النار فمنعهم وأراد أن يغضب الناس للكعبة اليوم ينادى أصحابك بوقف قذف الكعبة بالمنجنيق ويتركونها تحترق .

وقال شاهد عيان : كنا مع ابن الزبير فى الحجر فأول حجر من المنجنيق وقع فى الكعبة فسمعنا لهما أنينا كأنين المريض آه آه !!! وصادف أن أوقد أصحاب ابن الزبير نارا طارت منه شرارة سببت حريقا عظيما فى الكعبة والكعبة يومئذ مبينة ببناء قريش مدماك من خشب ومدماك من حجارة وشاهد أخر هو رباح بن مسلم عن أبيه قال . رأيت الحجارة تصك وجه الكعبة من جبل أبى قبيس حتى تحترقها . وترتج من أعلاها الى أسفلها ثم بعث الله عليهم صاعقة بعد العصر فأحترق المنجنيق واحترق تحته ثمانية عشر رجلا من أهل الشام فجعلنا نقول . لقد أظلهم العذاب وتناثرت حجارة الكعبة حتى أن الحمام والطيور تقع على جدرها فتطير الحجارة الصغيرة من تحت أرجلها ويستمر الحصار شهرين وابن الزبير متحصن بالبيت الحرام ثم تأتى الأبناء بوفاة الخليفة " يزيد بن معاوية " فيتوقف القتال ويرفع الحصار ويعود الجيش الأموى



الى الشام . ويخرج ابن الزبير على الناس وتذعن جزيرة العرب كلها له وتبايعه . وان الحجاز لابن الزبير فبويع بالخلافة ٦٤ هـ في الحجاز واليمن مصر والعراق وخراسان وتحقق قول الصحابى الجليل سلمان الفارسى ونبوءته " لتحرقن هذه الكعبة على يدى رجل من أهل الزبير " .

بناء عبد الله ابن الزبير للكعبة

بعد ما بويع عبد الله بن الزبير بالخلافة وما تعرض له ابن الزبير . وما تعرضت الكعبة المشرفة دخل عبد الله بن عمرو بن العاص المسجد الحرام والكعبة محرقة متوهنة ترتج من أعلاتها الى أسفلها . واذا الركن قد اسود واحترق وتفلق من الحريق وحين أدبر جيش الحصين بن نمير والكعبة تتأثر حجارتها بكى والدموع تنحدر فى عينيه ويقول عبد الله بن مسعود حرقتم بيت الله فأنتظروا النقمة فوالذى نفس عبد الله بن عمرو ليلبسنكم الله شيعا وليذيقن بعضكم بأس بعض . لبطن الأرض خير لمن عليها لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر قال عبد الله بن الزبير : أشيروا على فى الكعبة . أنقضها ثم أبنيها أو أصلح ما وهى فيها ؟ وأشار ابن عباس على الزبير لما أراد أن يهدم الكعبة ويجدد بنائها أن يرم ترقيع ما وهى منها ولا يتعرض بزيادة أو نقص وقال له لا آمن ، أن يجئ من بعدك أمير فيغير الذى صنعت واخيرا اتخذ القرار بهدم الكعبة كاملة واعادة بنائها وأيد هذا القرار جابر بن عبد الله وعبيد بن عمير وعبد الله بن صفوان بن أمية . وذلك بعد أن قال الزبير انى مستخير الله ثلاثا- ثم عازم أمرى يا ابن عباس حسنا- ولكن أحذرك أن تترك المسلمين بغير قبلة يتجهون اليها فى صلاتهم وعند الهدم حدث ما حدث من رجال قريش سابقا فهم أيضا أحفاد قريش حيث خاف الجميع من غضب الله وأن ينزل عليهم عذابه لهدمها ظنا منهم أن هذا اخلال بجلال البيت الحرام وخرج أهل مكة الى منى ثم أمر الزبير بهدمها فما

اجترأ على ذلك فلما رأى الزبير ذلك علاها بنفسه وأخذ المعول وجعل يهدمهاو يرمى بحجارتها . فلما رأوا أنه لم يصبه شئ فصعد الحاضر منهم يهدم معه . وارتقى ابن الزبير فوقها عبيدا من الحبش يهدمونها رجاء أن يكون فيهم صفة الجيش الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وقد قام ابن الزبير بوضع الركن " الحجر الأسود " فى ديباجة وأدخله فى تابوت ووضعه عنده فى دار الندوة وما كان فى الكعبة من حلى وضعها فى خزانة الكعبة فى دار شيبة بن عثمان . وما أن هدم ابن الزبير ومن معه الكعبة وسواها بالأرض حتى كشف على أساس ابراهيم فوجدوه داخلا فى الحجر من ستة اذرع وشبر كأنها أعناق الابل أخذ بعضها كتشبيك الأصابع ببعضها ببعض يحرك الحجر من القواعد فتحرك الأركان كلها وقال لهم الزبير : زيدوا فى الحفر . ولما زاد العمال فى الحفر وجدوا هواء من نار تلقاهم فابتعدوا مسرعين وهم يصيحون النار النار لا تستطيع أن تريد رأينا نارا يلفح لهيبها أجسادنا ولما بزغ فجر اليوم التالى : دعا الزبير خمسون رجلا من وجهاء مكة وأشرافها وأشهدهم على ذلك الأساس وقال اشهدوا هذه قواعد ابراهيم أدخل رجل يقال له عبد الله بن مطيع العدوى عتله كانت فى يده فى ركن من أركان البيت فتزعزعت الأركان جميعا ورجفت مكة رجفة شديدة حين زعزع الأساس وخاف الناس خوفا شديدا وبكى عبد الله بن مطيع بكاء مريرا وراح يستغفر ربه وأتبعنا الأساس فى الحجر فوجدنا أساس البيت متصل بالحجر . وقال ابن الزبير للجميع اشهدوا ان قواعد البيت فى الحجر

فقال ابن عباس : مازلنا نعلم أن الحجر من البيت وأشتعل الحماس لنيل شرف البناء فى بيت الله الحرام ولما فرغوا من البناء دعا عبد الله بن الزبير ابنه عبدا وجبير بن شيبة بن عثمان وقال لهم : لقد جمعتكم لأمر هام جدا- ما هو يا أبت ؟ لقد اخترتكما لتقوما بوضع الحجر الأسود فى مكانه فاذا دخلت الصلاة " صلاة الظهر " ضعوا الحجر الأسود فى ثوب وأحملوه من دار الندوة الى الكعبة وليضعه أحدكم بيده فى موضعه وسوف أطيل الصلاة حتى تفرغوا من عملكم / فاذا انتهيتم فكبروا حتى أخفف من صلاتى فكان الذى وضعه فى موضعه هذا عبادا واعانه عليه جبير . فلما أقراه فى موضعه كبرا فخفف ابن الزبير صلاته وقيل ان ابن الزبير وولده رفعاه ووضعاه بأيديهما فى ساعة خالية تحروا بها غفلة الناس فى يوم صائف وتسامع الناس بالخبر بعد الصلاة فغضبوا وثاروا ما هذا يا عبد الله ؟ ماذا فعلت يا رجل لقد كنا أولى من هذين الصبيين باعادة الحجر الأسود الى مكانه وقال أخرون : أجل يا ابن الزبير لقد تجاوزت الحدود بهذا العمل . وما كان لك أن تتجاهل أشراف مكة وسادتها وزعماءها ثم نمنح ولدك وصاحبه هذا الشرف العظيم من دوننا . وأخر: ألم يكن فى رسول الله أسوة حسنة . والله لقد رفع فى الجاهلية حين بنته قريش فيحكموا أول من يدخل عليهم من باب المسجد . وكان أول من دخل محمد بن عبد الله فجعله فى ردائه ودعا محمد بن عبد الله من كل قبيلة من قريش رجلا . فاخذوا باركان الثوب ثم وضعه فى موضعه " الركن " قال ابن الزبير حاولت أن ابعد بكم عن الخلاف والنزاع ولعقة الدم . وهنا هدأت النفوس وذهب الغيظ والغضب ولم

يحاول أحدهم أن يثير جدلا بهذا الشأن ثانية . ولما فرغ ابن الزبير مــن بناء الكعبة ١٧ رجب سنة ٦٥ هــ طيب الكعبة المشرفة بالعنبر والمسك من داخلها وخارجها وكسا الكعبة بالديباج وقيل بالقباطى وهى أقمــشة مصنوعة من الكتان . وأرسل ابن الزبير الى صنعاء فأتى بها من رخام يقال له البلق فجعله فى الروازن التى فى سقفها للضوء . وجعل ميزابها يسكب فى الحجر وجعل لها درجة فى بطنها فى الركن الشامى من خشب معرجة يصعد فيها الى ظهرها وهتف ابن الزبير وقال : أيها الناس مــن كانت عليه عمرة فليعتمر من التنعيم شكرا لله ومن قدر أن يــذبح بدنـــه فليفعل . ومن لم يقدر على بدنه فليذبح شاه ، ومن لم يقــدر فليتــصدق بقدر استطاعته . خرج ابن الزبير ماشيا حافيا وحــرض النـــاس علـــى الاعتمار من التنعيم شكرا لله . وعلى الذبح والنحر على مقدار الطاقـــة صدقة لله على ما أولى وأكرم . وأحرم هو وأصحابه مــن أكمـــة أمـــام مسجد عائشة بالتنعيم . وراح يلبى " لبيك اللهم لبيك " أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك " حتى وصل البيت الحرام وطاف بالكعبة واستلم الأركان . وأهدى للبيت مائة بدنة نحرت جميعها جهة التنعيم . ذبحهــا صدقة وحمدا لله وبقيت هذه العمرة سنة عند أهل مكة فى هذا اليوم من كل عام وكذلك أهل مصر وعادت البهجة والفرحة لأهل مكة . وعـــادت الأنوار تتلألأ فى مكة مبتهجة بالكعبة المعظمة وهكذا بنيت من جديد على الصورة اللائقة بها وبمكانتها .

بناء الحجاج بن يوسف الثقفى

لم تكتمل فرحة المسلمين بما آلت اليه الأمور من استقرار أمر الكعبة المعظمة وأمر الخلافة فى مكة لابن الزبير ولما آلت الخلافة الأموية لعبد الملك بن مروان فى عام ٧٣ هـ عاود الأموين الكرة لاخضاع مكة المكرمة بمن فيها وعلى رأسهم عبد الله بن الزبير وقرر عبد الملك بن مروان التخلص من عدوه ومنافسه عبد الله بن الزبير فجهز جيشا ضخما لمنازلة ابن الزبير فى مكة وأمر عليه الحجاج بن يوسف الثقفى وخرج الحجاج على رأس الجيش الى الطائف وانتظر تزويده بمزيد من الجيش. وكان قوام الجيش مائة وعشرون ألفا من جند الشام الى الحجاز وضرب حصارا على مكة وأصاب أهلها بمجاعة ثم وصل الى جوار بيت الله الحرام وأعتصم ابن الزبير بالبيت . ونصب الحجاج المنجنيقيات على جبل أبى قبيس وجبل قيقعان ونواحى مكة كلها . لقد دامت الحرب أشهرا وتفرق أصحاب الزبير وحلت بهم الهزيمة وأعلن الحجاج لمن سلم من أصحاب الزبير وأمنه هو نفسه- غير أن ابن الزبير لم يقبل أمان الحجاج . ولما علم عبد الله بن الزبير بمقتل أخيه مصعب ترحم عليه ووصف أهل العراق بالنفاق وراح عبد الله بن الزبير يسأل أمه أسماء بنت أبى بكر ماذا أفعل يا أمى وقد تخلى عنى الناس ؟ فقالت له ان كنت على حق فامضى لشانك ولا تمكن بنى اميه . وان كنت تريد الدنيا فبئس العبد انت اهلكت نفسك ومن معك . والقتل أحسن ولكن يا أمى انى اخاف ان قتلونى ان يمثلوا بى فقالت له : يا بنى

ان الشاه لا يضيرها سلخها بعد ذبحها ومضى عبد الله بن الزبير يصلى ليلته الأخيرة وقال لمن حوله . صونوا سيوفكم كما تصون وجوهكم احملوا على بركة الله . فحمل عليه جنود الحجاج حتى هوى شهيدا فى بيت الله الحرام وأرتجت مكة بالبكاء وكبر أهل الشام فقال عبد الله بن عمر . المكبرون عليه يوم ولد خير من المكبرين عليه يوم قتل وصلب الحجاج ابن الزبير وقد فاحت من جثته المسك وصلب الحجاج معه كلبا أو سنورا ميتا حتى تغطى الرائحة النتنة للسنور على رائحة المسك . وظلت الجثة مصلوبة ثم انزلت ودفنت وكتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان ان ابن الزبير قد وضع بناء الكعبة على أساس نظر اليه بعين الغضب من أهل مكة وابتعد كثيرا عن البناء الذى كانت قريش قد أقامته واشترك فيه رسول الله صلى عليه وسلم فزاد فى البيت ما ليس منه وأحدث فيه بابا آخر وانى استأذنكم فى رد البيت الى ما كان عليه فى الجاهلية وجاء رد عبد الملك بن مروان .

- أما ما زاده فى طوله فأقره
- وأماما زاده فى الحجر فرده الى بنائه الأصلى
- وسد بابها الغربى الذى كان قد فتحه ابن الزبير
- واكسى أرضها بالحجارة

فهدم الحجاج منها ستة أزرع وشبرا مما يلى الحجر وبناها على أساس قريش الذى كانت استقرت عليه وكيس أرضها بالحجارة . وسد الباب الغربى الذى كان فى ظهرها وما تحت عتبة الباب الشرقى وهو أربعة أزرع وشبر وترك ستائرها ولم يحرك فيها شيئا فكل شئ فيها بناه

ابن الزبير الا الجدار الذى فى الحجر بناه الحجاج ثم جاء عبد الملك بن مروان . ليعتمر وأثناء طوافه بالبيت التقى بالحارث بن ربيعة وقال لـــه بعد الطواف قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين رضى الله عنها يقول سمعتها تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة لولا حدا ثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد فيه من الحجر ، فان قومك قصروا فى البناء . فقال الحارث بن ربيعة لا تقل هذا يـــا اميـــر المؤمنين . فانى سمعت أم المؤمنين عائشة تحدث هذا فقال عبد الملك – لو كنت سمعت قبل أن أمر بهدمه لتركته على ما بنى عليه ابن الزبيـــر وندم ابن مروان أشد الندم على اذنه للحجاج فى ذلك وعاد حزينـــا الـــى الشام ولم يستقر له بال ولم يهدأ . وكان يقضى الساعات مطرقا مفكـــرا ثم يرفع رأسه ويصبح كالمجنون لعنه الله على الحجاج . لعنه الله علـــى الحجاج وذكر أن الرشيد أو أباه المهدى أوجده المنصور ســـأل الامـــام مالك فى هدمها أوردها الى بناء ابن الزبير فقال له الامام مالك : ناشدتك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يـــشاء نقـــضه وبناه فتذهب هيبته فى صدور الناس . وعندما حج ســـليمان بـــن عبـــد الملك طاف بالبيت وبجانبه محمد بن كعب القرظى ، وعمـــر بـــن عبـــد العزيز . وعند الانتهاء من الطواف سأل سليمان بن عبد الملك وقـــال : كيف كان بناء الكعبة حين بناها ابن الزبير ؟ فأشار له عمر بـــن عبـــد العزيز ان ما فعله الزبير أن جعل لها بابين وأدخل الحجر فى البيت فقال سليمان : ليت أن أمير المؤمنين– يعنى عبد الملك– كان ولى ابن الزبير ما تولى من ذلك . وكان بين بناء قريش وبناء عبد الله بـــن الزبيـــر "

ثمانون عاما " وما بين بناء ابن الزبير وازالة الحجاج " تسع أو عـشر سنوات ثم بقيت الكعبة المشرفة على حالها من يوم ما اقتطع الحجـاج منها ما أدخله ابن الزبير فى الحجر حتى سنة ١٠٣٩ هـ لـم يـصبها وهن ولا خراب غير بعض الترميمات البسيطة حتى كان السيل العظـيم فى ١٠٣٩هـ وكان سببا لسقوط معظم جوانب الكعبة والبيـت الحـرام ومن ثم فان البناء الذى قام به السلطان مراد خـان العثمـانى ١٠٤٠ م والواقع أن بناء الحجاج لا يعتد بناءا شاملا ولكن هدم زوائد ابن الزبير فى البناء . وعمل الحجاج فى الكعبة ليس بناء شاملا فهو لم يقم بـأى عمارة ولكن قام بنقض جزء من عمارة ابن الزبير للكعبة

بناء السلطان مراد خان للكعبة

هناك مرحلة اخرى من مراحل قصة بناء الكعبة المشرفة وهو بناء السلطان مراد خان ١٠٣٩- ١٠٤٠ هـ ففى عام ١٠٣٩هـ سقط الجدار الشامى للكعبة وجانب الجدارين الشرقى والغربى وسقطت درجة السطح ولكن السقوط هذه المرة لم يكن بفعل البشر وانما كان من فعل السيل والمطر .

أمطرت السماء مطرا عظيما لم ير مثله فى هذه الأزمنة وأندفع الماء داخل البيت الحرام وملأ غالبيته وباتت الكعبة فى تلك الليلة غريقة

ومات بسبب ذلك المطر داخل المسجد الحرام وخارجه خلق كثير. واندفع الهلع بين الناس وانخلعت قلوبهم خوفا وحزنا وان طعم السيل كان ملحا ومرا يميل لونه الى السواد . ثم هرع الناس يقيمون الصلوات داعين الله أن يكشف عنه الغمة .

وخرج أمير مكة " مسعود بن ادريس بن حن " من داره فزعا الى المسجد الحرام وحضر معه السادة الأشراف والعلماء والفقهاء .

وأمر فاتح البيت ان يدخل الى الكعبة ويخرج القناديل فيها ودخل ذلك الخادم ومعه جماعة وأخرجوا كنوز الكعبة وقناديلها الذهبية المرصعة بالجواهر واللآلئ وضعوها فى بيت الشيخ جمال الدين محمد الشيبى وأيضا ميزاب الكعبة الذى سقط وفى البيت نفسه بعد أن ضبط ذلك فى حضرة أمير مكة المكرمة وكان منزل فاتح الكعبة المشار اليه يقع

بالصفا فوضعه فى مخزن وختم عليه بختم امير مكة المكرمة والقاضى ونائب الحرم المكى . وأجلس عليه حرسا ثم انصرف الناس الى دورهم وأمر الشريف مسعود بن ادريس أمير مكة بايقاد الشموع بالمسجد الحرام فأوقدت ولما توقف المطر وقف الشريف أمير مكة ينادى أيها الناس . لقد توقف المطر . هلموا لنيل شرف تنظيف المسجد الحرام . وكذلك السادة الأشراف والأعيان والفقهاء ونقل الناس الأخرون معهم . ثم شرع الجميع فى رفع الحجارة التى سقطت من الكعبة المشرفة واجتمع علماء البلدة والقضاه وأغلب علماء مكة المكرمة وأعيان الناس وسأل شريف مكة العلماء الحاضرين هل نبادر الى عمارة من تهدم من الكعبة ؟ أم نترك الكعبة على حالها حتى يصل الينا رد السلطان مراد خان . لقد عرض ما وقع على الكعبة الى وزير مصر لعرض الأمر بسرعة على السلطان . ولما وصل نبأ الحدث الى الخارج أحدث هياجا شديدا . ولما رأى محمد على باشا حاكم مصر وقت ذاك .

الا تنتظر رد الأمر السلطانى خوفا من ازدياد التصدع فى الكعبة . فأرسل رضوان أغا من حاشية البلاط العثمانى مندوبا من قبله الى مكة المكرمة . ثم وقع مطر آخر بمكة وامتلأت ساحة المسجد من حول الكعبة بالمياه مرة ثانية . ولم تعد تصلح عملية الترميم فصرف النظر عن ذلك وبدا التفكير فى هدم الكعبة هدم البناء كله واقامة بناء جديد عُينَ لمباشرة بناء وتجديد الكعبة المعظمة " على بن شمس الدين المكى " مهندس مكة ومحمد بن زين المكى المهندس وأخوه عبد الرحمن ورئيس النجاريين والبنائين وابن حاتم ونور الدين وكان المكلفون

بمباشرة هدم جدار الكعبة واعادة البناء فلابد من الطبيعى لعمل أى بناء معمارى شامل لابد أن يكون الكشف فيه عن حال الأساسات وتقيمها ضرورة لا يمكن اغفالها . فالكعبة ذات مكانة قدسية بنيت على قواعد ولذا فان طبيعة تقييم أساسها يجب أن يأخذ طريقة خاصة لا تؤدى بأى حال ما يخدش تلك القدسية . لذلك فان اللجنة المشكلة لبناء الكعبة يعملون بحذر شديد وبروح ايجابية عالية مع اعتبار ما للبيت من مهابة وتكريم وأنهم يعمرون بيت الله الحرام . قبلة مسلمى العالم وفى يوم الجمعة ١٩ جمادى الأولى ١٠٤٠ هـ شرعوا فى هدم الجدارين وازالة أخشاب السقف والميزاب .

ثم هدم الجدار اليمانى ثم قلعت العتبة الشريفة حتى تم نقض السقف ووضعت الأخشاب والرخام والرصاص فى سقاية العباس وفى ٢٣ هـ جمادى الأولى ١٠٤٠ هـ وضع أساس الجدارين الشامى والغربى من قبل الأعيان ووضعت العتبة ثم ذبحت القرابين وفى غرة رجب وضع الركن اليمانى ثم وضعت بعد ذلك العتبة الشريفة ثم تم اصلاح ووضع الحجر الأسود بعد تعب كبير وبعد أن تم تمويه الحجر الأسود بالفضة .

ثم وضعت قواعد الأعمدة الداخلية فى الكعبة . ولقد ألبست الكعبة ثوبها وتمت هذه العمارة على ما كانت عليه صفة الكعبة المشرفة . وفى ٢ من ذى الحجة سنة ١٠٤٠ هـ انتهى البناء والاصلاح بحمد الله . وهذه العمارة هى الأخيرة وبها انتهت عمارة الكعبة المعظمة من عهد بناء الملائكة واستمرت على وضعها الى عهد الترميمات الشاملة لها على يد خدام الحرمين الشريفين من آل سعود أعزهم الله .



الكعبة ترتدى أبهى حللها فى العهد السعودى

لقد شهدت المرحلة الأخيرة لبناء وترميم الكعبة المعظمة هى المرحلة التى تمت فى العهد السعودى لقد سخرت كل امكانيات العمارة الحديثة لترميم الكعبة المعظمة وتوسعه بيت الله الحرام .

وهذه الأعمال انطلاقا من الدوافع الايجابية والرغبة فى التقرب الى الله بأعمال المشاعر المقدسة وذلك لمواجهة الازدياد المطرد من الحجاج والمصلين فى الحرمين الشريفيين بصفة عامة ولقد وضع الملك عبد العزيز رحمه الله شغله الشاغل فى جهوده التنموية والتطويرية لما لها من أثر بارز فى قلوب المسلمين فهى قلب الأمة الاسلامية وقبلتهم التى لابد أن تكون فى ثوبها القشيب تاج المدن فى المعمورة قاطبة فى غرة شهر المحرم ١٣٧٧هـ لوحظ وجود خلل فى سقف الكعبة المشرفة وتصدع يحتاج الى ترميم وذلك بسبب عوامل الزمن والأمطار والحرارة ولما اطلع الملك سعود- رحمه الله- على التقرير المرفوع اليه حتى أصدر الأمر السامى الى اللجنة العلمية من المهندسين المعمارين للنظر فيما وقع للكعبة المشرفة من أضرار فقامت اللجنة باصلاح سقفى الكعبة المطهرة وعمارتها وترميمها واصلاحها وذلك بازالة السقف الأعلى للكعبة المشرفة ووضع سقف جديد . كما أزيل السقف الأدنى للكعبة وتحديده كما عمل ميدة بين السقفين يحيط بجميع جدران الكعبة المشرفة لتقويتها . وقام المهندسون أيضا بترميم الجدران الرئيسية للكعبة ترميما جيدا . وبناء جدران جديدة للكعبة من السقف الأدنى الى

السقف الأعلى ثم الى ذروة السقف واصلاح الجدران المحيطة بجـدران الكعبة من باطنها فى أرضها وحول جدراتها

- ترميم الدرج الذى فى باطن الكعبة المؤدية الى سطحها واصلاحها
- عدم تذهيب سقف الكعبة المطهرة

ولما حضر الأمير فيصل بن عبد العزيز نيابة عن أخيه الملك سعود يرحمهما الله عز وجل- ترافقه لجنة العمل بالكعبة المشرفة ولما دعـى الحضور الى هذه المناسبة الاسلامية العظيمـة لفيـف مـن الممثلـين السياسيين فحكومات الدول العربية والاسـلامية وعـدد مـن الـوزراء والعلماء . وجمع كبير من أعيان البلاد وعلى رأسهم جلالة الملك سعود وكان هذا احتفال فى يوم الأحد ٢ شعبان ١٣٧٧ هـ ٢ مارس ١٩٥٨ م فصلى جلالة الملك سعود ركعتين وأبتهل الى الله تعالى وقـام بتعطيـر الكعبة وقال : اننا نحمد الله تعالى ما أنعم علينا من عمارة بيته الحرام . هذا البيت الذى جعله الله مثابة وأمنا ونسأله القبول . والمزيد من فضله والتوفيق وندعوه بدعوة الخليل ابراهيم عليه السلام . " ربنا تقبل منـا انك أنت السميع العليم " نسأله أن يهدينا ويلهمنا رشدنا وأن يجمع كلمة المسلمين والعرب على ما فيه صالح دينهم ودنياهم انه سـميع مجيـب وتفيد الروايات التاريخية أن الكعبة المشرفة بنيت اثنى عشر مرة عبـر التاريخ بناء الملائكة- ثم شيث بن آدم- فخليل الله ابـراهيم ومعاونـه سيدنا اسماعيل- ثم العمالقة- فجرهم . فقصى بن كلاب- ثـم بنـاء قريش ثم بناء عبد الله بن الزبير- فتعديل الحجاج بن يوسـف الثقفـى وتلاه بناء السلطان مراد خان العثمانى فى ١٠٤٠ هـ وأخيـرا بنـاء

وترميمات خادم الحرمين الشريفيين فهد بن عبـد العزيـز رحمـه الله ١٤١٦- ١٤١٧ هـ شرف ما بعده شرف وعمل خالص لوجه الله جزى الله أولاد الملك عبد العزيز خيرا ما فعلوه . وما سوف يفعلـون تجـاه الكعبة المشرفة وزوارها حتى آخر الزمان .


الفصل الخامس

توابع الكعبة المشرفة

الميزاب

بعد انتهاء وترميم الكعبة المشرفة لا يفوتنا الحديث عن ميزاب الكعبة- وميزاب الكعبة هو الجزء المثبت على سطح الكعبة فى الجهة الشمالية والممتد نحو حجر اسماعيل والمصرف للمياه المتجمعة على سطح الكعبة المشرفة عند غسيل السطح أو سقوط الأمطار . وقد وقع تغير وتبديل فى ميزاب الكعبة المشرفة لسببين :

- أحدهما اذا اعتراه خراب عمل غيره
- والثانى كان بعض الملوك أو الأغنياء من عظماء المسلمين يهدى للكعبة المعظمة ميزابا فيركب فى الكعبة المشرفة وينزع منه الذى قبله وأحصى محمد طاهر الكردى ١١١عدد الميازيب التى عملت للكعبة المشرفة حتى نهاية العصر العثمانى بثلاثة عشر ميزابا بينما أحصاها ابراهيم باشا رفعت بـ تسعة ميازيب وفى ضوء ما سبق تستطع القول ان أول ميزاب عمل للكعبة المشرفة الميزاب الذى عملته قريش عند بنائها لها قبل البعثة المطهرة . ثم ميزاب عبد الله بن الزبير عند بنائه للكعبة عام ٦٥هـ / ٦٨٤م حيث عمل لها ميزابا يصب فى حجر اسماعيل كما فعلت قريش وهكذا تتكرر عمل الميزاب للكعبة المشرفة فى العصور التاريخية المختلفة سواء فى العصر العباسى أو العصر العثمانى ثم ميذاب السلطان العثمانى أحمد

الأول بن محمد الثالث عام ١٠٢١هـ / ١٦١٢م وهو آخر ميـزاب صنع للكعبة المشرفة قبل العهد السعودى .

وفى سنة ١٤١٧هـ جدده خادم الحرمين الشريفيين الملك فهد بـن عبد العزيز آل سعود رحمه الله حيث استبدل بميزاب جديد روعى فيـه القوة والمتانة والمظهر الجميل .

مفتاح الكعبة المشرفة

قبل أن نتحدث عن مفتاح الكعبة المشرفة هذا يجعلنا أن نسأل أنفسنا مع من يكون مفتاح الكعبة المشرفة ؟

ومن المتحكم فى هذا الموضوع ؟

ان المتحكم فى هذا الموضوع هو سدنة الكعبة ويجب أن نعرف مـا هى السدانة ؟

ومن هم سدنة الكعبة ؟ وما سندهم فى هذه الولاية ومن ولاهم هـذا الأمر ؟ فسدانة الكعبة هى القيام بجميع أمورها مـن فتحهـا واغلاقهـا وتنظيفها وغسلها وكسوتها واصلاح هذه الكسوة اذا تمزقت واسـتقبال زوارها والنظرة فى كل ما يتعلق بأمور الكعبة . وتعرف السدانة كـذلك بالحجابة والذين يقومون بها يسمون بالحجبة لأنهم يحجبون الكعبة عن العامة وأمر السدانة منذ زمن بعيد وقبل فتح مكة فى أولاد بنى شيبة بن عثمان يتوارثونها وهم موضع اكبار عند عموم حكام المسلمين ولا يزال وجودهم من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أخبـر بهـا أمته وقصة السدانة مرتبطة بباب ومفتاح الكعبة وذكر أن تبع ملك اليمن

هو أول من جعل للكعبة بابا يغلق وهو أول من جعل قفلا ومفتاحا للكعبة لكونه سادن الكعبة المشرفة فى الجاهلية . ومـرت سـدانة الكعبـة أو سدانة بيت الله الحرام بمراحل وأحداث فكانت بيد اسماعيل ثم بعد وفاته صارت لولده ثابت بن اسماعيل . الى أن اغتصبها مـن ولـده أخوالـه جرهم ومكثت فيهم عدة قرون . ثم اغتصبتها منهم خزاعة ومكثت أيضا فيهم عدة قرون الى أن صار أمر الكعبة ومكة الى قصى بن كـلاب بـن مرة القرشى فاسترجعها من خزاعة بعد حرب دامية ثم صارت من بعده فى ولده الأكبر عبد الدار ثم استمرت فى بنى عبد الدار جاهلية واسلاما الى أن صار أمر السدانة الى شيبة بن عثمان بن طلحة ثم أصبحت فـى أولاد بنى شيبة بن عثمان الى العصر الحاضر يتوارثونها . وقال عثمان بن طلحة كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنـين والخمـيس وجـاء محمد بن عبد الله يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلظت له ونلت منه ولكنه كان حليما ثم قال لى : يا عثمان لعلك سترى هذا المفتـاح بيـدى يوما أضعه حيث أريد .

فقال عثمان بن طلحة لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فرد عليه محمد بن عبد الله وقال بل عمرت وعزت ودخل الكعبة- فوقعت كلمتـه منـى موقعا يومئذ أن الأمر سيصير الى ما قال .

فلما كان يوم فتح مكة عام ٨ هـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان ائتنى بالمفتاح فأتيته به فأخذه منى ثم دفعه الى وقال : خذوها يا بنى طلحة خالدة لاينزعها منكم الا ظالم ان الله استأمنكم على بيته .



فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف فلما ذهبت ناداني يا عثمان فرجعت هل تتذكر ما قلته لك ؟ بيدي أضعه حيث شئت فتـذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة قلت أشهد أنك لرسول الله وقيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح صلى بعد أن أعطى عثمان بـن طلحـة مفتاح الكعبة . دخل الكعبة ثم خرج وهو يتلـو . " (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) (سورة النساء: من الآيـة ٥٨) " لقد توارث الشيبيون سدانة الكعبـة من عهد النبي الى اليوم فالرسول منحهم أمرها وأعطاهم مفاتيحها .

والشيبيون معروفون بنسبهم عند أهل مكة خاصة وعند المـسلمين عامة . فهم سدنة الكعبة جاهلية واسلاما . ويقال آل شيبة وخلود سدانة الكعبة المعظمة فهم مع تبادل الحكام والولاة من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين . رضي الله عنهم . وحلفاء بنـي أميـة وعبد الله بن الزبير وخلفاء بني العباسي والفاطميين وملوك الجراكـسة وسلاطين آل عثمان وأمراء مكة الأشراف . وانتهاء بجلالة الملك عبـد العزيز آل سعود ومن معجزات الرسول التي أخبر بها أمته بها يقول : " خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم " وسيحفظ الله عز وجل آل شيبة بمشيئته الى يوم القيامة فهو القاهر فوق عبـادة وهو المتصرف في الكون بحكمته وهو الذي يدبره بقدرته فله الأمر من قبل ومن بعد وهو العليم الخبير . ان مفتاح الكعبة يتم تغيـره وتبديلـه حسب فترة حكم ورغبة الحاكم ان الخلفـاء كـانوا يرسـلون الأقفـال والمفاتيح لاستخدامها في غلق وفتح باب الكعبة أثناء ترميم الكعبـة أو

فى بعض المناسبات الأخرى وحرص الحكام على هذا الشرف ويرجع الى رغبتهم فى اظهار نفوذهم السياسى على بيت الله الحرام قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم أكثر مما يرجع الى الكشف عن احساسهم الدينى ومن خلال ذلك . أصبح مفهوما أن المسئول عن رعاية أمور الاسلام والمسلمين ورعاية خدمات بيت الله الحرام وقبر الرسول . ان هذه المفاتيح كان يكتب عليها عبارات أدعية دينية وآيات من كتاب الله ثم سورة الاخلاص . هذا مفتاح كعبة الله شرفها الله . نصر من الله وفتح قريب . لا اله الا الله . والكتابات مكفنة بالفضة والذهب وأدعية دينية ياديان يامنان . سورة الفتح – ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اللهم افتح لنا أبواب رحمتك . لا اله الا الله محمد رسول الله ولله على الناس حج البيت لمن استطاع اليه سبيلا . البسملة – آية الكرسى

وتقرأ أيضا " (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا) (سورة البقرة: من الآية ١٢٥) واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وفى سنة ٩٧٦ هـ قد سرق مفتاح الكعبة فتح الشيخ عبد الواحد الشيبى الكعبة المشرفة للنساء فسرق المفتاح من حجرة مفتاح الكعبة وهو مرصع بالذهب فوقعت الضجة وأغلقت أبواب الحرم وفتش الناس فلم يظفروا به وجده سنان باشا باليمن مع رجل أعجمى وفتشوا داره فوجد عنده المفتاح وغيره من سرقات اخرى أقربها فقطع رأسه وأعيد المفتاح الى الشيخ عبد الواحد الشيبى . وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا تأخذوا المفتاح من بنى شيبه .

باب الكعبة المشرفة

لكل بيت باب وللكعبة المعظمة التى هى بيت الله باب واختلفت الروايات فى تحديد أول من عمل بابا للكعبة المشرفة فمن قائل : انه كان أنوش بن شيبث بن آدم وأنها مبينة بالحجر . ومن قائل أن جرهم أول من صنع بابا للكعبة وقيل أن تبع الثالث أحد ملوك اليمن قبل البعثة النبوية أول من عمل بابا للكعبة المشرفة وعندما أعادت قريش بناء الكعبة جعلت لها بابا بمصراعين وغيرت فيه . مرت على باب الكعبة تعديلات وترميمات وتغيرات عدة وفى حج ٦٥٩ هـ ركب على باب الكعبة باب عمله الملك المظفر صاحب اليمن وكان عليه صفائح فضة زنتها ستون رطلا وصارت لبنى شيبه وفى سنة ٧٣٣ هـ عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو سلطان المماليك فى مصر والشام بابا للكعبة وركبه على الكعبة بعد فتح باب المظفر وكان عليه من الفضة خمسة وثلاثون ألفا وثلاثمائة درهم وهو مصنوع من السنط الأحمر وقد جدد باب الكعبة عدة مرات وفى سنة ١١١٩ هـ جدد أيضا فى عهد السلطان أحمد خان . وبقى هذا الباب على الكعبة الى عهد المؤرخ باسلامه ١٣٥٦ هـ وهذا الباب الأخير الذى عمله السلطان مراد خان هو الباب الموجود على الكعبة المشرفة الى العصر الحاضر . الشاهد ما أن علم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بحالة الباب وأنه أخذ فى التأكل والتلف بسبب تقادم الزمن حتى أصدر فى عام ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٢ م أمرا بأن يصنع على حسابه الخاص بابا جديدا للكعبة المشرفة وفى عام

١٣٩٨هـ ١٩٧٨ م كان الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود يرحمه الله . يؤدى الصلاة داخل الكعبة المشرفة . رأى أن بابها قد اعتراه الخلل فأمر بصناعة باب جديد . وهذا يدل على اهتمام الحكام من آل سعود بأمور الحرمين الشريفين وعمارتها ولا يفوتنا ذكر بعض التفاصيل والأمور الفنية والكتابات التى زود بها باب الحرمين الشريفين للكعبة المشرفة الملك خالد- رحمه الله تعالى كما جاء بشفاء الغرام للفاسى وأضيف فى الزاويتين الطويتين زخارف متميزة لابراز شكل قوى يحيط بلفظ الجلالة واسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الآيات الكريمة على باب الكعبة منها :

- (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ) (سورة الحجر: ٤٦)
- (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ) (سورة المائدة: من الآية ٩٧)
- (وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً) (سورة الإسراء: ٨٠)
- (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (سورة الأنعام: من الآية ٥٤)
- (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (سورة غافر: من الآية ٦٠)
- (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (سورة الزمر: ٥٣)

" التطور التاريخى للكسوة للكعبة المشرفة "

كسوة الكعبة المشرفة جزء لا يتجزأ من الكعبة . وقد كسيت فى الجاهلية والاسلام أنواعا من الكسى منها القصف، والمعافر، والملاء، والوصائل . والعصب واختلف المؤرخون فى أول من كسا الكعبة المشرفة فقيل أول من كساها نبى الله اسماعيل وقيل الحفيد الخامس لنبى الله اسماعيل عدنان بن أد والثابت أن أول من كساها هو تبع أبى كرب أسعد ملك حمير سنة ٢٢٠ " قبل الهجرة " ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن سب تبع ملك حمير حيث ورد أنه قال: " لا تسبوا تبعا فانه قد أسلم " وذكر الفاكهى : أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن سب أسعد وكان أول من كسى البيت الوصائل . فكان تبع أول من كسا الكعبة كسوة كاملة حيث كساها بالخصف . كساها بالسرح والانطباع . ثم كساها بالملاء والوصائل . وجعل لها بابا يغلق بضبه فارسية ومفتاحا وقد تأثر تبع بزيارته لهذه الكعبة تأثرا بليغا – وقد أوصى قبل أن يغادر مكة وقبل أن يرحل الى بلاده اليمن– ولاة مكة من قبل جرهم بالعناية بالكعبة وأمرهم بتطهيرها ولا يقربوها دما ولا ميتة وكذلك تأثر بعض الناس على اختلاف طبقاتهم بكسوة الكعبة تأسيسا بتبع وأخذوا يهدون اليها الأكسية المختلفة فتجمع لدى سدنه الكعبة" البيت " وولاته من جرهم وخزاعة فيحتفظون بها فاذا بلى ثوب أبدلوه بثوب جديد آخر من خزانة الكعبة دون أن ينتزعوا الثوب القديم واستمر الحال على ذلك الى أن ساد مكة قصى بن كلاب الجد الخامس لرسول الله صلى

الله عليه وسلم . وكان من سادة العرب فكـــان لـــه الحجابـــة والرفـــادة والسقاية والندوة واللواء والقيادة فتولى أمر الكعبة ومكة ولما كان أبو ربيعة بن المغيرة بن مخزوم وكان ثريا قال : أنا أكسو الكعبـــة وحـــدى سنة وجميع قريش سنة وقيل أن من كسا الكعبة بالديباج- الحرير خالد بن جعفر بن كلاب وأول من تفرد بكسوة الكعبة من الأفراد أبو ربيعة بن المغيرة جد الشاعر عمر بن أبى ربيعة وأول من كسا الكعبة فى الاسلام النبى صلى الله عليه وسلم كساها بالثياب اليمانية بعد فتح مكة ٨هـ ثم كساها أبو بكر الصديق بالثياب البيضاء القباطى ثم كـــساها عمـــر بـــن الخطاب القباطى من بيت المال ثم كساها عثمان القباطى والبرود اليمانية ثم كساها الحجاج ديباجا . وأول من كساها أيضا ابن الزبير وقبل يزيـــد بن معاوية وقبل عبد الملك بن مروان . أما معاوية بن أبى سفيان فلعله كساها فى آخر خلافته واستمرت قريش بعد قصى بن كلاب على المنهج نفسه . الذى رسمه فى أمر كسوة الكعبة المشرفة وقيل انه لما فتح الله مكة لم يغير الكسوة بل تركها على حالها وقيل جاءت امرأة عام الفـــتح الى الكعبة بمجرة تريد تجميرها وبينما هى تجمرها طارت شرارة الـــى الكسوة التى كساها بها المـــشركون فأحترقـــت فعريـــت الكعبـــة فقـــام المسلمون بكسوتها . ومن ذلك اليوم أى يوم فتح مكة الى يومنـــا هـــذا تفرد المسلمون بكسوة الكعبة المعظمة زادها الله شرفا وتعظيمـــا . امـــا الكسوة فى عهد الخلفاء الراشدين . لما ولى أبو بكر الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت من جملة أعماله الجليلة الكثيرة أن قـــام بكسوة الكعبة المعظمة بالقباطى وكذلك ابن الخطاب وعثمان بن عفـــان

أما على بن أبى طالب لم يقم بكسوة الكعبة وليس ذلك تقصيرا منه بـل كان مشغولا بالحروب التى أجبر على خوضها من أجل ضـمان وحـدة المسلمين . وكان ابن عمر رضى الله عنه يكسو الكعبة من ماله الخاص فى عهد الخلفاء الراشدين وكان عمر بن الخطاب قد كتب الـى واليـه وعامله فى مصر أن تحاك الكسوة فى مصر ثم ترسل الـى مكـة مـن القباطى وكانت الكسوة القديمة تنزع لترتدى الكعبة حلتها الجديدة ويوزع عمر الكسوة القديمة على الحجاج . فلما تولى سيدنا عثمان بن عفـان الخلافة بعد عمر سار على سنة سلفه العظيم – فكانت نفقات الكسوة من بيت المال مما يحاك فى مصر . وكان أول من قـرر للكعبـة كـسوتين الأولى بالديباج " يوم الترويه " وهو الثامن مـن ذى الحجـة والثانيـة بالقباطى يوم السابع والعشرين من رمضان أما الكسوة فى عهـد بنـى أمية : عندما انتقلت الخلافة الى معاوية بن أبى سفيان ٤١ هـ بعـد أن تنازع عليها وبايعه الحسن بن على – ليحقن دماء المـسلمين وأنفـرد معاوية بالحكم فدانت له كل أقطارهم وأهتم معاوية بأمر الكسوة اهتماما بالغا وبقيت الكسوة من مهام الدولة تنفق عليها من بيت مال المسلمين حيث سنه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب فتبعه من جاءوا بعده وقيـل أن أول من أمر بتجريد الكعبة من كسا الجاهلية حتى لا يكون من مـسه المشركون شئ . هو معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنـه . واتخـذ معاوية للكعبة كسوتين اقتداء بسيدنا عثمان بن عفان وزاد معاوية فـى خدمة الكعبة فأجرى لها الطيب . وخصص العبيد لخـدمتها – وأجـرى الزيت أيضا لقناديل المسجد الحرام من بيت المال . فلما كان الزبير أتبع

أثره فكان يبعث الى مصعب بن الزبير بالكسوة كل سنة فكانت تكسى يوم عاشوراء ويقول باسلامه : ان يزيدين معاوية وعبد الله بن الزبير كانـــا يكسوان الكعبة بالديباج المصنوع من خراسان وذلك خلافا لما عمله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وتبعه الخليفة عثمان .

الكسوة فى العصر العباسى

أما خلفاء بنى العباسى فى خلال فترة حكمهم الطويل لم يقصروا فى خدمة الكعبة المشرفة وكسوتها . وكانت عنايتهم بالكعبة عظيمة الى حد بعيد . ولما تطور النسيج والحياكة والصنع والتلوين والتطريز والطـلاء بماء الذهب والفضة جعلهم يصلون الى ما لم يصل اليه السلف . وبلـغ اهتمام الخلفاء العباسيين أن يبحثوا عن خير ممـن يحـسنون صـناعة النسيج والحياكة فوجدوا " تنيس " المدينة المـصرية التـى أشـتهرت بالمنسوجات الثمينة شهرة عظيمة . فوقع اختيارهم عليها وصنعوا بهـا الكسوة الفاخرة من الحرير الأسود على أيدى أمهر الحاكة والنـساجين وكانت قرية " تونة " مشهورة أيضا بما اشتهرت به مدينـة " تنـيس " فكانت الكسوة تصنع بها أيضا سنة ١٦٠٠ هـ نزع المهدى الكـسوة التى كانت على الكعبة وكساها كسوة جديدة . ونقل عن الفاكهى رأيـت أيضا كسوة لهارون الرشيد من قباطى مصر وكانت الكعبة تكسى فى كل سنة كسوتين . كسوة ديباج وكسوة قباطى . فالديباج تكسى بـه يـوم " التروية " ٨ من ذى الحجة وفى ٢٧ رمضان تكسى بالقباطى للقطر أمـا فى خلافة المأمون ٢٠٦ هـ فصارت الكعبة تكـسى ثلاثـا . الـديباج الأبيض الديباج الأحمر يوم التروية وتكسى بالقباطى يوم هلال رجب ثم عاد الخلفاء العباسيون ببغداد الى شعارهم الأسود فألبسوا الكعبة الديباج الأسود أما الكسوة فى عهد الدولة الفاطمية ففى سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢ م عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله بعد فتحه لمصر أمر بعمل كـسوة

للكعبة لينافس خلفاء بغداد العباسين وفى سنة ٣٩٧هـ كسا الحاكم بأمر الله صاحب مصر الكعبة القباطى البيض وفى عام ٦٤٨ هـ ابان حكم المعز " عز الدين أيبك التركمانى " على مصر . قامت بمكة رياح عاصفة فمزقت أستار الكعبة الشريفة وأزالت عنها الكسوة السوداء ومكثت واحد وعشرين يوما ليس عليها كسوة . وكان هذا فالا لزوال دولة بنى العباسى . حتى جاء هولاكو وضرب بغداد وقتل الخليفة المعتصم بالله وزالت دولة بنى العباسى من بغداد . ومع انتهاء دولة بنى العباسى . انتهى دورها الحضارى فى كسوة الكعبة المشرفة . وبدأت دولة أخرى تنافس على هذا الشرف العظيم من المشرق والمغرب وخاصة مصر التى ظهرت قوتها تبزغ الى الوجود وتنفصل عن التبعية للدولة العباسية ويصبح لها الكيان المستقل المنفرد

أما الكسوة فى عهد المماليك والشراكسة

وأول من كسا الكعبة من ملوك مصر بعد زوال الدولة العباسية هـو السلطان الظاهر بيبرس البند قدارى عام ٦٦١ هـ وعمل لبابها مفتاحا سنة ٦٦٦ هـ ولما حج سنة ٦٦٧ غسل الكعبة بيده بماء الورد وعمل الستائر والديباج للكعبة وللحجرة النبوية الشريفة وأمر السلطان الظاهر بيبرس لأول مرة فى مصر أن يعمل احتفال على هيئة محمـل الكـسوة يطوفون به وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة وفى عام ٦٨١ هـ خلـف أمير مكة للسلطان المنصور قلاوون يمين الولاء والطاعة لـه ولولـده والتزامه بتعليق الكسوة المصرية دون غيرها كل موسم وفى عهد ابنـه السلطان الناصر محمد بن قلاوون كانت هناك كسوة للكعبـة المـشرفة استطاع الرحالة العربى ابن بطوطه أن يرصدها فى رحلتـه . واسـتمر سلاطين قلاوون فى ارسال الكسوة للكعبة المشرفة وفى سنة ٧٥٠ هـ أوقف الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر وقفا عبارة عـن ثـلاث قرى بيسوس، وسندبيس ، وأبى الغيط من قرى القليوبية اشتراها مـن بيت المال ووقفها على كسوة الكعبة كل سنة والحجرة النبوية الشريفة . وقد اشترى السلطان سليم خان عدة قرى بمصر . أضافها الـى الـثلاث قرى السابقة وهذه القرى فى الدقهلية والتى وقفها على الكـسوة ومـن هذه القرى هى سلكه - سيرو بجنجة - ويش الحجر - مايل- وكـوم رحان - منية النصارى- بطاليا ولا زالت موقوفة على ذلك حتـى حـل وقفها محمد على باشا وتعهدت الحكومة بصنع الكسوة من مالها العـام

وقيل فى ٧٥١ هـ أراد الملك المجاهد أن ينزع كسوة الكعبة التى باسم المصرين ويكسوها كسوة من عنده تكون باسمه فأخبر صاحب مكة المصريين فقبضوا عليه واستمرت مصر فى نيل شرف كسوة الكعبة بعد سقوط دولة المماليك من مصر وخضوعها للدولة العثمانية فقد اهتم السلطان سليم الأول العثمانى بتصنيع كسوة الكعبة وزركشتها وكذلك كسوة الحجرة النبوية الشريفة وكسوة مقام الخليل ابراهيم عليه السلام . وظلت كسوة الكعبة ترسل بانتظام من مصر بصورة سنوية يحملها أمير الحج المصرى . المعروف باسم المحمل . وكانت الكسوة تصنع فى القلعة بالقاهرة تحت اشراف ناظر الكسوة . وظلت الكسوة الشريفة بانتظام كل عام من مصر طول العصر العثمانى من ايرادات الأوقات المذكورة . وبعد احتلال الفرنسيين لمصر ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م لم ترسل الكسوة من مصر الى الكعبة خلال تلك السنوات الثلاث على الرغم من تجهيز الكسوة والاحتفال بها الا أن المحمل لا يواصل رحلته الى الأراضى المقدسة وذلك بسبب الحوادث التى مرت بالمنطقة ويرجع المحمل بالكسوة الى القاهرة . وعينوا ناظرا جديدا على الكسوة وهو السيد اسماعيل الخشاب ورغم ذلك لم ترسل الكسوة فى ذلك العام ١٧٩٩ م من مصر الى الكعبة المشرفة وفى عام ١٢١٥ هـ ١٨٠٠ م أهتم الفرنسيون بأمر الكعبة المشرفة حين اعتنق الجنرال مينو الاسلام وتزوج سيدة مسلمة تعرف باسم زبيدة من رشيد بمصر وأبدى رغبته فى الاهتمام بالكسوة وقرئ الفرمان : الذى ينص على اصلاح الكسوة وارسالها الى الكعبة المشرفة باسم المشيخة

الفرنسية ورغم الاهتمام لم ترسل الكسوة ولم يخرج المحمل الــى مكــة المكرمة عام ١٢١٥ هـــ / ١٨٠٠ م وبما أن الدولة العثمانية صــاحبة السيادة على البقاع المقدسة فى تلك الفترة لم تهمل ارسال الكسوة . فقد صنعت كسوة الكعبة المشرفة فى اسطنبول وأرسلتها مع المحمل الشامى خلال السنوات السالفة الذكر ونقلت هذه الكسوة فى موكب الى القــصر العثمانى فى ١١ ربيع الأول ١٢١٣ ديــسمبر ١٧٩٩ م وبعــد خــروج الفرنسيين من مصر . بادرت الدولة العثمانية بارسال المحمل المــصرى بصحبه سليمان أغا . ومعه بعض الأمراء القادمين من الشام . فقوبــل باحتفال عظيم فى القاهرة وأرسلت الدولة العثمانية الكسوة المــصنوعة فى اسطنبول الى القاهرة ثم أرسلت بعد ذلك الى الكعبة المــشرفة فــى موسم ذلك العام ١٢١٦ هــ ١٨٠١ م وكان أمير الحاج عثمان بــك .
وعادت مصر الى دورها السابق فى كسوة الكعبة المشرفة وفــى عــام ١٢٢٢هــ / ١٨٠٧ م توقفت مصر عن ارسال الكسوة على اثر صــدام حدث بين الوهابين فى الأراضى الحجازية وبين قافلة الحج ولم ترســل مصر كسوة الكعبة سوى عام ١٢٢٩ هــ وحفظت بالمــشهد الحــسينى ولما تولى محمد على حكم مصر ١٢٢٠ هــ / ١٨٠٥ م أمر بانشاء دار لتصنيع الكسوة فى الخرنفش وكان مكانه فــى حــى بــين الــصورين بالخرنفش وكانت مجهزة بأحدث تجهيزات العصر . وذكر كلوت بك هذه الدار وأطلق عليها فاوريقة (فابريكا). وأستمر العمل فى دار الخرنفش حتى عام ١٩٦٢م حيث أصبح تصنيع الكسوة الشريفة يتم داخل المملكة العربية السعودية بدار صناعة الكسوة الشريفة على طريق مكــة جــدة

القديم وهكذا لم تتوقف مصر عن ارسال الكسوة للكعبة الشريفة سوى مرات قليلة بسبب حرب أو خلافات سياسية بين حكام مصر وحكام المملكة العربية السعودية ووصل الخلاف الى حد كبير . فكان هذا العام شاهدا على أخر كسوة أرسلتها مصر . وحيث أن العبرة من ارسال الكسوة الى الكعبة المشرفة والمحصصات الى ذويها هو التقرب الى الله فى سبيل الأجر والثواب . فكان يجب ألا تتدخل الشئون السياسية فى هذه الأمور الدينية . وقد اهتمت المملكة العربية السعودية بصناعة كسوة الكعبة المشرفة ففى ١٣٤٦ هـ أمر الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يرحمه الله . بانشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة المشرفه فى مكة المكرمة . وأفتتح هذا المبنى فى ستة أشهر وتم توفير كل ما يحتاج اليه . وفيه تم انتاج كسوة الكعبة المشرفة ليصبح هذا الشرف العظيم منوطا بالمملكة العربية السعودية وأستمر المصنع ينتج ثوب الكعبة المشرفة وفق أخر ما وصل اليه التقدم الحضارى العالمى فى فن النسيج وتقنيته وكان هذا المصنع فى منطقة أم الجود على الطريق القديم بين مكة والمدينة . ويقول ابراهيم رفعت باشا أن الكسوة وتوابعها تسلم الى الشيبى سادنه الكعبة . كما ذكر البتنونى باقامة احتفال عمل الكسوة باشهاد شرعى يحضره العلماء والكبراء وتبقى فى منزله الى صباح يوم عيد النحر . فيؤتى بها على أعناق الرجال وتعلق على الكعبة مع انزال الكسوة القديمة . وهكذا فان كسوة الكعبة المشرفة جزء لا يتجزأ من الكعبة والاهتمام بكسوة الكعبة له فى نفوس المسلمين ما للكعبة من تقديس وتشريف بقدر مكانها الرفيعة .



الصفا والمروة

ان الصفا والمروة من شعائر الله . فمن حج البيت أو اعتمـر فـلا جناح عليه أن يطوف بهما . ومن تطوع خيرا فان الله شـاكر علـيم " فالسعى لا يتجزأ من الكعبة وهو ركن من أركان الحج أو العمرة الـصفا جبل صغير وقيل هو قطعة من جبل أبى قبيس فهو رأس نهاية جبل أبى قبيس وهو مبدأ السعى وهو فى الجهة الجنوبية مـائلا الـى الـشرق . والمروة جبل صغير فى الجهة الشرقية الشمالية وقيل من جبل قيقعـان وهو منهى السعى الشمالى وأحد مشاعر الحج أو العمرة . ولم يكن بين الصفا والمروة بيوت أو عمائر . اللهم سوى الجبال والصخور ولم تمتد يد الاعمار اليه الى أن جمع قصى بن كلاب قومه من الشعاب والأوديـة والجبال وملك عليهم وقسم مكة بينهم فبنوا المساكن . وأمرهم أن يبنوا بيوتهم حول الكعبة وبنى دار الندوة وجعل بابها الى الكعبـة وذكـر أن يوم فتح مكة ٨ هـ كان بالسعى ستة وثلاثون وثنا وعلى الصفا صـنم وعلى المروة صنم. فكان ضم أساف بالصفا ، ووثن نائله بالمروة وكان أهل الجاهلية يسعون بينهما وقيل أن آدم عليه السلام نزل بالصفا وحواء على المروة وسمى الصفا بآدم المصطفى وسميت المروة باسم المرأة . فلما جاء الاسلام أطاح بهما وكسرهما وبـاقى الأصـنام وكـان اهـل الجاهلية يسعون بين الصفا والمروة من أجل أوثانهم . فأمسك المسلمون عن السعى على أنه سعى الشرك . فأنزل الله سبحانه وتعالى "(﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ

اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ١٥٨) " وقد بنى على الصفا والمروة ابنيـــة حتـــى سترتهما بحيث لا يظهر منهما شئ غير يسير وكانت أرض السعى بهـــا منحدرات ونزول وطلوع وتم اصلاح السعى بتسويتها شيئا فشيئا . كمـــا كان السعى من قديم الزمن وعلى جوانبه حوانيت . وكان الـــسعى فـــى وسط السوق والدور من وراء ذلك ويخترق السعى طرق تسير فيها الابل والدواب والعربات والسيارات أما الآن فقد رصف رصفا غير منـــتظم . وفى عام ١٣٤١ هـــ / ١٩٢٢ م أمر الشريف حسين الهاشـــمى بعمـــل سقفية للمسعى الذى كان مكشوفا من قبل لكى تقى الساعين مـــن حـــر الشمس ولكن تركت المحلات والدكاكين والباعة بمكانها وهذا لا يليق أن تكون به على هذه الصورة فهو منسك من مناسك المسلمين ولكنه مهمل فى فترة زمنية كبيرة لم يهتم به الحكام ولا الولاة مثل اهتمامهم بالكعبة والمسجد الحرام .يقول هيكل أثناء حجة سنة ١٩٣٨ م أتليق أن تقـــوم هذه المقاهى والحوانيت على حافة هذا المكان المقدس . هـــذا المكـــان الذى يتوجه فيه الناس الى الله بالتوبـــة والاســـتغفار والجلـــوس علـــى المقاهى وتبادل التجارة وبلغ الاهمال مداه بمرور العربات والسيارات فى هذا الطريق . ونادى هيكل : لعلى أجد من يشاركنى فى دعوة المسلمين الى اصلاح منسك من شعائر الله . ولعلى أجد من الحكومات الاســـلامية للخبرات واجابة هذه الدعوة " ولقد استجاب الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله لنداء هيكل . فعهد الى أمين مكة بتسقيف المسعى بطريقـــة أجمل وقامت أمانة العاصمة أنذاك رصف شارع المسعى بعـــد أن كـــان

شارعا ترابيا ثم تم ادخال السعى نفسه كاملا ضمن المسجد الحرام بعد أن شارعا تجاريا تقوم على جوانبه الدكاكين التجارية بمختلف أنواعها . والصيارفة والحلاقين وبائعى المشروبات مما كان يؤذى الساعين الى الخروج شعوريا عن حالة النسك والعبادة الى ضجيج الحياة وزحامها ثم أمر الملك عبد العزيز بعد ذلك . بفرش أرض السعى بالبلاط الحجرى المربع وذلك من بداية الصفا حتى انتهاء المروة ثم عمل بعد ذلك مظلة جديدة على السعى انشئت فى عهد حضرة صاحب الجلالة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية .وفى عام ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م من هنا تمت ازالة المنشآت السكنية والتجارية التى كانت قائمة قرب السعى . كما تم بناء المسعى من طابقين وأقيم فى وسط السعى حاجز يقسمه الى قسمين طويلين خصص أحدهما للسعى من الصفا الى المروة والأخر من المروة الى الصفا . لتيسير السعى ومنع التصادم بين الساعين ذهابا وايابا كما خصص للطابق العلوى مدخلان أحدهما عند الصفا والأخر عند المروة وهناك الآن طابق ثالث للقضاء على الزحام كما كان يضاء بين الصفا والمروة بالقناديل ليلا وقد أمر الطاهر بن عبد الله حين أراد الحج ٢١٩ هـ يريد اضاءه الطريق له . وسارت سنة الى يومنا هذا . وهذه سنة مباركة عند أهل مكة . أصاب فيها الناس وربحوا فيقال لها الى اليوم سنة ابن الطاهر .

والمسعى طوله ٤٠٥ متر وهذا الطريق قسم الى ثلاثة أقسام يمشى الساعى فى القسمين المتطرفين . ويهرول فى القسم الأوسط والقسم

الأول من الصفا الى الميلين الأخضرين وهما عمودان خضراء أحـــدهما فى الحائط المقابل للمسجد وثانيهما حذاءها بجوار باب المسجد الحـــرام المسمى بباب البغلة وطول هذه المسافة ٧٥ مترا والقسم الأوسط يبتدئ من هذين الميلين وتنتهى الى ميلين آخـــرين أحـــدهما ببـــاب المـــسجد المسمى باب على والأخر فى الحائط المقابل لجدار المسجد من الناحيـــة الثانية وطول هذا القسم ٧٠ مترا والقسم الثالث من هذين الى المـــروة ٢٦٠ مترا وقد وضع نور أخضر مكان الميلين علـــى الـــسقف وعلـــى الحائط الشرقى والغربى علامة مع ابتداء الهرولة وانتهائها

اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من شرفه وكرمه ممن حجه وأعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا .وأجز اللهم آل سعود خيرا لجهودهم فى عمارة الحرمين . واستضافتهم لحجاج وعمار وفد الله . ،

تم بحمد الله تعالى



" قائمة المراجع "

" المراجع العربية "

١- القرآن الكريم

٢- قصص الأنبياء - المعجم الوجيز - الطبعة الأولى - الجزء الأول ١٩٩٥ م

٣- فضيلة المرحوم الشيخ محمد متولى الشعراوى - حول القرآن الكريم طبعة أخبار اليوم المصرية - المجلد الأول.

٤- الترمذى- كتاب المناقب - باب فضل مكة

٥- أبو عبد الله محمد بن اسحق بن العباسى المكى الفاكهى - أخبار مكة من قديم الدهر وحديثه - دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت- الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م الجزء السادس

٦- د . مهندس يحى حسن وزيرى استاذ العمارة المساعد بكلية الآثار - جامعة القاهرة- الكعبة المشرفة " دراسة تحليلية للخصائص التصميمية " بحث مقدم المؤتمر انتر بيلد - الرابع عشر - القاهرة ٢٠٠٧ م

٧- د. أحمد السيد دراج : الكعبة المشرفة - سرة الأرض ووسط الدنيا

٨- د. محى الدين أحمد امام : فى رحاب البيت العتيق - دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٣م "١٦٣ "

٩- تقى الدين الفاسى : شفاء الغرام - بأخبار البلد الحرام- الجزء الأول الطبعة الأولى دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ / ٢٠٠٠ م .
١٠- الامام أحمد : سند الامام أحمد - الجزء الثالث
١١- محمد مصطفى الذهبى : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - مكة مطبعة النهضة الحديثة - الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م
١٢- أبو وليد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - المجلد الأول
١٣- ابن هشام : الجزء الأول
١٤- د. عبد اللطيف عبد الله بن دهيش الأزرقى مطبعة الأسدى - طبعة مكة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م
١٥- مهندس يحى حسن وزيرى : استاذ العمارة المساعد بكلية الآثار - جامعة القاهرة - مكتب تخطيط وتنمية مكة المكرمة- بوزارة الشئون البلدية والقروية - السعودية- التقرير الثالث عشر لمشروع ٢٠٨ رجب ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥
١٦- أمينة الصاوى : الكعبة المشرفة - طبعة سلسلة أخبار اليوم ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م
١٧- فتح البخارى : لشرح صحيح التجارى
١٨- ابن كثير : تفسير ابن كثير
١٩- عباس محمود العقاد : عبقرية عمر
٢٠- الطبرى - تفسير الطبرى

٢١- محمد عبده الحجاجي- مدير ادارة المكتبة المركزية - جامعة القاهرة جريدة الأهرام المصرية بعددها الصادر يوم الجمعة ١٩٨٢/١٠/٨
٢٢- اتحاف الورى : الجزء الثانى
٢٣- عصام أبو يوسف : معجزة الشفاء بماء زمزم- دار الشارقة القاهرة- ٢٠٠٩ م
٢٤- يحى حمزة الكشك : كتاب زمزم طعام وشفاء وسقم الطبعة الأولى - جدة دار العلم للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ
٢٥- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ - الطبعة الثانية- بيروت الجزء الثانى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م
٢٦- الطبرى : تاريخ الأمم والملوك - الجزء الثانى
٢٧- حسين عبد الله باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة - عمارتها وكسوتها- الطبعة الثانية . دار مصر للطباعة ١٣٤٨هـ / ١٩٦٤ م
٢٨- د. أحمد على عثمان : مشرف الدعوة بأوقاف القاهرة . السرد التاريخى للكعبة المشرفة جريدة عقيدتى الاسلامية - بتاريخ ذى الحجة ١٤٢٩ هـ / ديسمبر ٢٠٠٨ م
٢٩- د. عبد اللطيف عبد الله بن وهيش الأزرقى : دراسة تاريخية حضارية عمارة المسجد الحرام فى العهد السعودى بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩ م

٣٠- محمد طاهر الكردى : كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الحرام الجزء الخامس- الطبعة الأولى- بيروت- مؤسسة حسيب درغام وأولاده - ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م
٣١-عبد القادر الطبرى : الأرج المسكى فى التاريخ المكى وتراجم الملوك والخلفاء- مكة المكرمة- المكتبة التجارية ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م
٣٢- ابن كثير : السيرة النبوية
٣٣- عبد القيوم عبد رب النبى : كسوة الكعبة المشرفة
٣٤- أحمد عبد الغفار العطار : الكعبة والكسوة
٣٥- الكاتب ابراهيم حلمى : كسوة الكعبة المشرفة - دار أخبار اليوم المصرية ١٩٩١ م
٣٦- ابراهيم رفعت باشا : الجزء الأول
٣٧- الجبرتى : عجائب الآثار - الجزء الخامس
٣٨- محمد حسين هيكل : فى منزل الوحى
٣٩- فى قلب الملك عبد العزيز بن منسى المعبدلى : المسجد الحرام

الفهرس

" نبذة عن المؤلف "

الاسم : أ . د / عبد الهادى أبو السعد صقر

تاريخ الميلاد : ١٩٣٠/٩/٥

محل الميلاد : كتامة – مركز طلخا- دقهلية

الحالة الاجتماعية : متزوج وله ثلاث أولاد

الزوجة : تفيدة منصور الشربينى – مديرة بالتربية والتعليم سابقا

الأولاد : المحاسبة امانى عبد الهادى : الدكتور أشرف عبد الهادى

: المهندس أيمن عبد الهادى

المؤهلات العلمية : ليسانس أداب تاريخ- جامعة القاهرة ١٩٥٩

: دبلوم عام فى التربية- جامعة المنصورة ١٩٧٤

: دبلوم خاص فى التربية : تخصص تربية ادارة – تخصص علم نفس : اختبارات جامعة المنصورة ١٩٧٩

: ماجستير فى التربية – جامعة المنصورة ١٩٨٥

: دكتوراه الفلسفة فى التربية – جامعة المنصورة ١٩٩٠

الأبحاث المنشورة

: أثر السلوك الادارى فى العلاقات الانسانية فى الادارة

: دراسة عن ظاهرة التأخر الدراسى .

: دراسة لكشف عن القيم السلوكية والأخلاقية لدى طلاب الجامعة

المقالات : نشرت له كثير من المقالات الأدبية والاجتماعية والفلسفية فى جريدة أخبار الدقهلية :

له تحت الطبع : اعداد المعلم التربوى

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٠/٨٨٤٩

دار المنـــــار

للطباعة والنشر والتوزيع

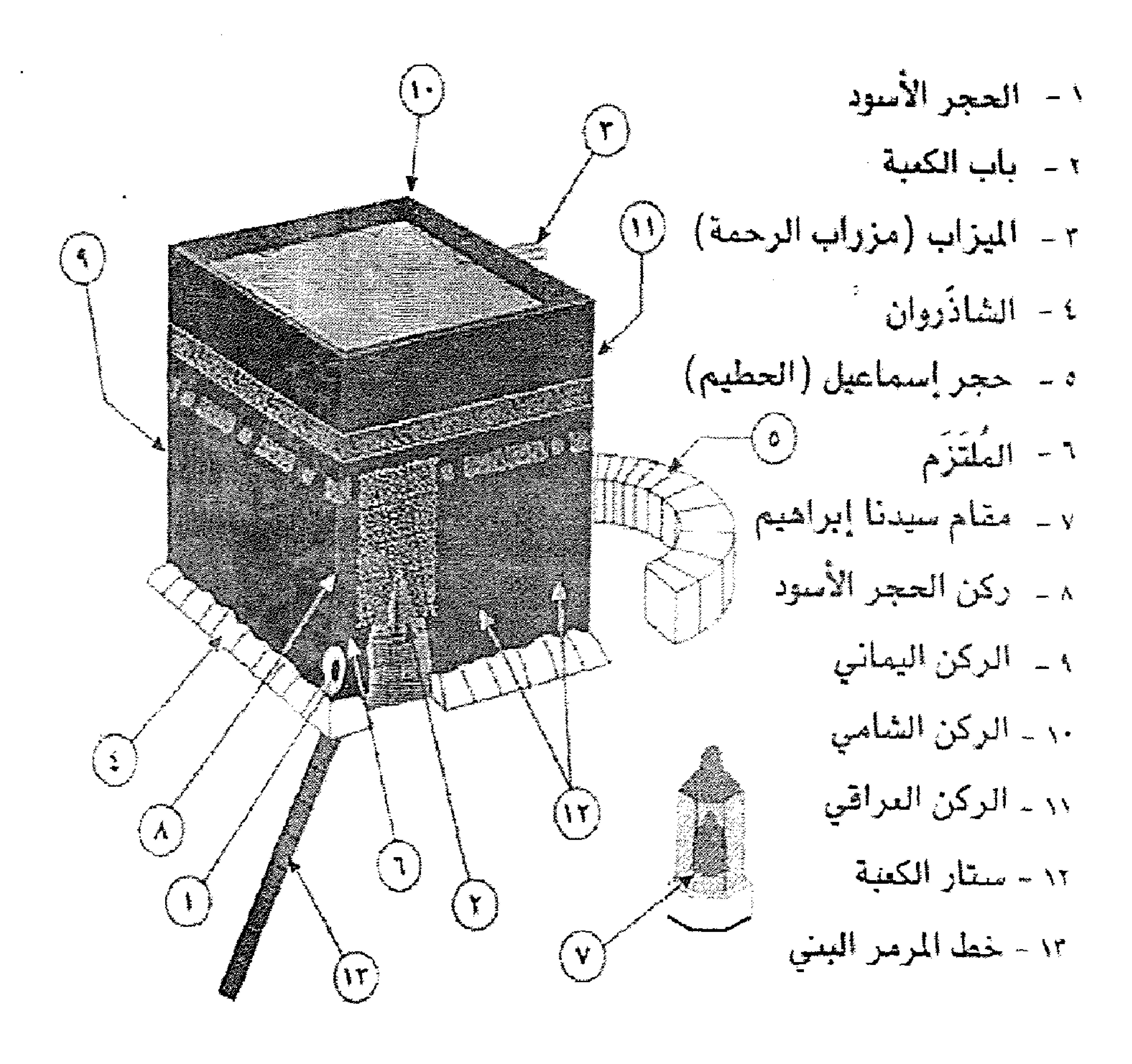
المنصورة – نوسا البحر

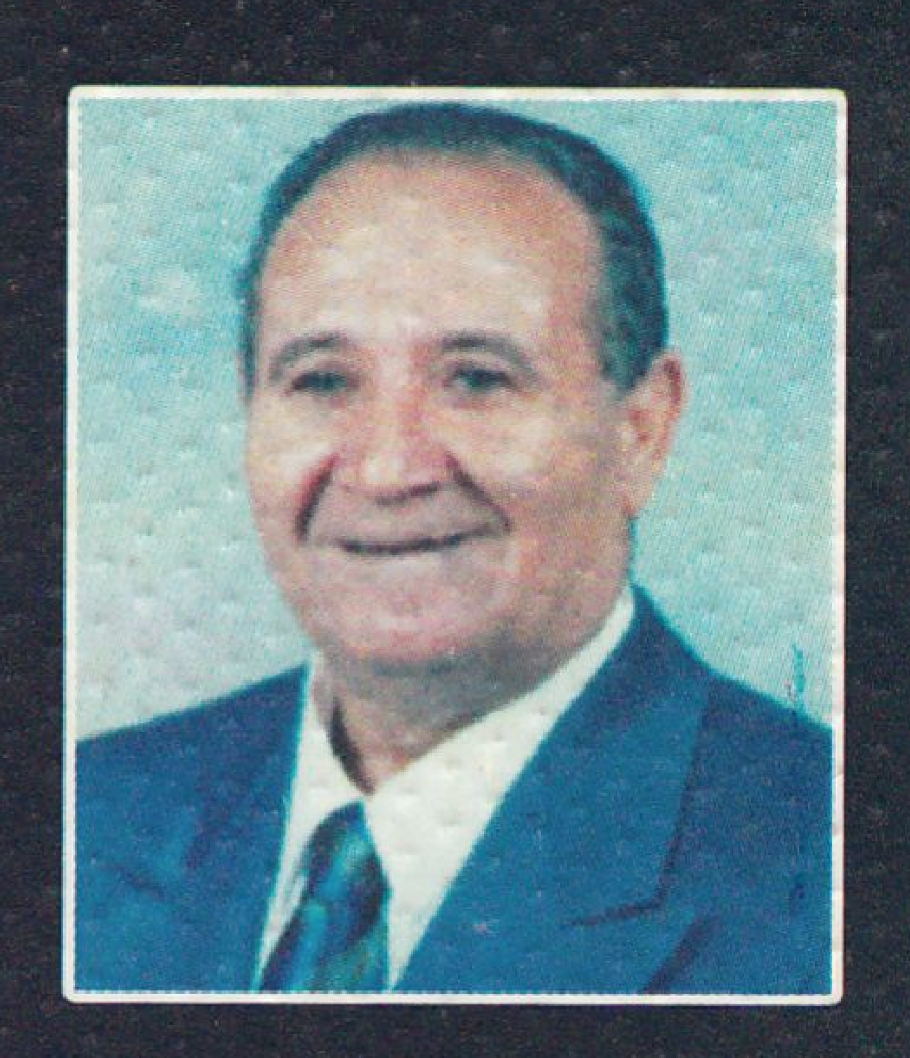
ت: ٠١٠٥٨٩٢٨٩٣ – ٠١٠٦٥٣٩٥٣٤

مكتب : ٠٥٠٦٤٣١٠١٧

الكعبة المشــرفة

(قبلة المسلمين)





0105892893
0106539534
PRINTING, PUBLISHING AND DISTRIBUTION